



# ديوان الأسرار والرموز

شعر: محمد إقبال

ترجمة: عبد الههاب عزام



# ديوان الأسرار والرموز

تأليف  
محمد إقبال

ترجمة  
عبد الوهاب عزام



رقم إيداع ٢٣٢٢١ / ٢٠١٣

تدمك: ٥ ٦١٨ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

**مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة**

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: محمد التوبجي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2014 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

## المحتويات

٧	مقدمة
١١	المدخل
١٥	خلاصة المقدمة التي كتبها إقبال لأسرار خودي
١٩	خلاصة مقال الشاعر إلى الأستاذ نكلسون
٢٣	أسرارُ إثبات الذات
٧٣	رُموز نفي الذات



## مقدمة

١

أقدم إلى قراء اللغة العربية ديوانين من دواوين الشاعر الكبير والفيلسوف العظيم محمد إقبال — رحمه الله — هما: أسرار إثبات الذات ورموز نفي الذات. وقد قدّمتُ إليهم من قبل ديواني رسالة المشرق وضرب الكليم، وكتاباً جامعاً فيه سيرة إقبال وفلسفته وشعره.

وبيّنت في مقدمات هذه الكتب الثلاثة كيف اقترح عليّ أصدقاء إقبال في باكستان أن أُخرجها في لغة القرآن، وكيف أخرجتها وطبعتها في باكستان ومصر.

واليوم أحدث القراء عن الأسرار والرموز.

أعود إلى ذكر أحبّاء محمد إقبال الذين كانوا يجتمعون في المجالس المباركة الخالدة، في دار السفارة المصرية من مدينة كراچي، على قراءة كتب إقبال والتحدث في مذهبه وسيرته، وقد تحدّثت عن هؤلاء الإخوان الكرام فيما نشرت من الكتب الإقبالية.

قال الإخوان — بعد أن نشرت رسالة المشرق وضرب الكليم: اليوم يجدر بك أن تترجم المنظومتين اللتين بيّن فيهما إقبال مذهبه، وشرح فلسفته؛ فإنّ ما ترجمت من قبل شعرتُ تظهر فيه آراء إقبال في العالم والحياة والناس، فكراً متفرقة أو درراً منثورة، وفي الأسرار والرموز فصول مرتبة يبيّن فيها الشاعر مذهبه في إثبات الذات ونفيها، وهما عماد فلسفته، وقطب شعره.

وانفضّ المجلس على أن أترجم الأسرار والرموز إلى العربية، وشرعنا نقرأ المنظومتين في مجالس متتابعة.

وأجد الآن في نسختي — التي قرأت فيها مع الإخوان — هذه الكلمات في أول الكتاب:

ديوان الأسرار والرموز

بدأنا القراءة في أول آذار (مارس) سنة ١٩٥٢.

وفي آخر الديوان الأول:

فرغنا من القراءة والساعة ست ونصف — قبيل المغرب — يوم الأربعاء ٢٦ شعبان سنة ١٣٧١هـ/ ٢١ نيسان (أبريل) سنة ١٩٥٢، ويلى هذا توقيع الإخوان.

وفي آخر الديوان الثاني:

تمت القراءة والساعة ثمان من مساء يوم الأربعاء الثامن من صفر سنة ١٣٧٢هـ/ ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٢ م والحمد لله رب العالمين، ثم توقيع الإخوان كذلك.

فقد استمرت القراءة ثمانية أشهر، وكان مجلسنا يجتمع كل أسبوع مرة، ولا ريب أن أسفارًا وأشغلاً عرضت فحالت دون موالاة والاجتماع، وإلا لم تستغرق القراءة هذه الشهور الثمانية.

## ٢

وبدأت الترجمة في شوال من السنة نفسها «تموز (يوليو) سنة ١٩٥٢»، وكنت أحسب أن ترجمة هذا الديوان «الأسرار والرموز» أيسر من ترجمة الديوانين: «رسالة المشرق» و«ضرب الكليم»؛ لأنه منظوم في بحر واحد هو الرَّمَل، على القافية المزدوجة التي تتغير فيها التقفية في كل بيت — وهي التي تسمى المثنوي في اصطلاح الأدب الفارسي — ولكن الترجمة طالت أكثر مما قدّرت؛ إذ كان الديوان نظماً متصلًا، لا ينشط المترجم فيه نشاطه حين يترجم قصيدة من ديوان، فيرى أنه أتم عملاً فيستأنف ترجمة قصيدة أخرى، فيتمها، وهلم جرا.

واليت الترجمة على العلات، وكثرة الفترات، وكنت أؤرخ، بين حين وحين، ما بلغت من الترجمة، وأذكر المكان الذي أترجم فيه، بين السفر والحضر والبر والبحر، حتى تمت ترجمة المنظومة الأولى «أسرار خودي»، فكتبت في كراسة الترجمة:



تمت ترجمة «أسرار خودي» والساعة ثلاث ونصف بالتوقيت العربي ليلة الأحد رابع أيام التشريق سنة ١٣٧٢هـ - ٢٢ آب (أغسطس) سنة ١٩٥٣ - في مدينة كراچي.

فقد ماطلتني الترجمة سنة، وكنت ترجمت «رسالة المشرق» في نحو أربعة أشهر، وكذلك ترجمت «ضرب الكليم».

ومضيت في ترجمة المنظومة الثانية حتى كتبت هذه العبارات:

يسر الله الفراغ من الترجمة على بعد الشُّقَّة، وطول المدى، واعتراض الشواغل، وكثرة الحوائل، يوم الأحد سابع عشر صفر سنة ١٣٧٤هـ - ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٥٤م - والساعة أربع وربع بعد الظهر، في دار السفارة المصرية من مدينة كراچي.

فقد شغلتنني ترجمة «الأسرار والرموز» أكثر من سنتين.

### ٣

وتركت باكستان بعد شهر من انتهاء الترجمة، وكان مجمع إقبال «إقبال أكاديمي» قد أخذ عليَّ العهد أن أعطيه الكتاب ليتولى نشره، بعد أن غلبه على «ديوان رسالة المشرق» مجلس إقبال في باكستان، وعلى «ضرب الكليم» جماعة النشر بالأزهر، وبلغ من حرص الصديق الدكتور اشتياق حسين قريشي - وزير المعارف ورئيس مجمع إقبال - أن ألزمني الوعد بإيثار مجمع إقبال بنشر الكتاب، أمام السيدة الجليلة فاطمة جناح أخت القائد الأعظم محمد علي جناح.

وكان مجمع إقبال، فاوض دار المعارف في القاهرة لنشر الكتاب، وسافرت من باكستان، فلم أفرغ للكتاب فتأخر نشره.

وراجعت الترجمة في الحضر والسفر، ويجدُّ المطَّلَع في كراستي عبارات تدل على أن المراجعة والتحرير كانا في الحجاز واليمن ومصر وعلى السفن في البحار.

ثم يسر الله أن أقدم بعض الكتاب لدار المعارف في شهر شباط (فبراير) الماضي فشرعت في طبعه، وواليت تقديم صفحات الكتاب حتى قدمت آخره حين تم التبييض والمراجعة وقت الأصيل يوم السبت حادي عشر هذا الشهر «شهر شعبان» سنة ١٣٧٥هـ - ٢٤ آذار (مارس) ١٩٥٦م - في مدينة جدة.

فقد أمضيت ثلاث سنوات ونصف وأنا في شغل بترجمة هذا الكتاب وتحريره، ولولا صحة العزم، وعظم الرغبة ما تيسرت ترجمة هذا الديوان القيم، ولحال اليأس أو العجز دون إتمامه.

٤

لا أعرض لطريقة الترجمة، ولا أتحدث عن صعوبتها، ولا سيما ترجمة النظم بالنظم على اختلاف اللغتين في المجازات والأساليب، وعلى غرابة الموضوع، فقد أبنت عن هذه وهذه في مقدمة الديوانين: «رسالة المشرق» و«ضرب الكليم».

على أن في الترجمة جانبًا من اليسر؛ لأن معظم الاصطلاحات عربي، وأن الموضوع إسلامي على ما فيه من فلسفة.

وبعد، فإلى قراء العربية أقدم الديوانين الثالث والرابع من دواوين إقبال التي تجشمت ما تجشمت في نقلها إلى العربية حرصًا على إشاعة ما فيها من دعوة إلى الحياة والأمل والعمل، والسمو بالإنسان إلى أعلى ما قُدر للإنسان من ارتقاء ورغبة في إمداد أدبنا بهذا الضرب من الأدب الإسلامي الإنساني الرفيع.  
والله ولي التوفيق.

عبد الوهاب عزام

١١ شعبان ١٣٧٥هـ / ٢٤ آذار ١٩٥٥م

## المدخل

بيّنت بياناً شافياً فلسفة إقبال في كتابي «محمد إقبال، سيرته وفلسفته وشعره» وأجملت آراءه كما بيّنها في ديوان «الأسرار والرموز» فليرجع إلى الكتاب من يرغب في الاستزادة. وفي هذا المدخل نبين — في إيجاز — فلسفة إقبال وآراءه التي يستخلصها قارئ «أسرار إثبات الذات ورموز نفي الذات».

أذكر طرفاً مما ثار حول الديوان من جدال، ثم أعرض على القارئ خلاصة المقدمة التي كتبها إقبال باللغة الأردية لكتاب «الأسرار والرموز» ثم حذفها بعد الطبعة الأولى، وأعرض عليه كذلك خلاصة ما كتبه إقبال تبياناً لمذهبه حينما سأله هذا الأستاذ المستشرق الإنكليزي نكلسون مترجم الأسرار إلى اللغة الإنكليزية.

### ١

نشر الشاعر الفيلسوف محمد إقبال أول دواوينه الفلسفية «أسرار خودي» سنة ١٩١٥م، وهو منظومة طويلة في بحر واحد، وعلى القافية المزدوجة، مقسمة إلى فصول يوضّح فيها الشاعر فلسفته في الذاتية فكرة بعد فكرة، ويصورها في صور شعرية رائعة. ثم نشر ديوانه الثاني المتصل بهذا الديوان «رموز بي خودي» وهي كلمة فارسية تدل على الأثرة والإعجاب بالنفس، ولكن إقبالاً نقلها إلى معنى آخر جعله قاعدة فلسفته، هو تعرف الإنسان نفسه، وتقويتها، وإخراج ما أودع فيها من مواهب. رأى الصوفية في الذاتية أمراً نكراً؛ إذ كان التصوف — بزعمهم — يقصد إلى إنزال النفس وإماتها حتى تؤهل للفناء في الله.

وزاد الصوفية ثورة على شاعر الحياة والقوة أنه عمد إلى إمام من أئمتهم وشاعر من أعظم شعرائهم «لسان الغيب حافظ الشيرازي» فحطَّ من شأنه وغضَّ من طريقته، ونهى الناس عنها، وحذرهم منها، وكذلك خالف محيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر، وغلَّطه، وقال: إن آراءه غير إسلامية.

وقد أجاب إقبال المعترضين أجوبة منها قوله في رسالة إلى الشيخ حسن نظامي:

... إني بفطرتي وتربيتي أنزع إلى التصوف، وقد زادتني فلسفة أوروبا نزوعاً إليه، فإن هذه الفلسفة في جملتها تنزع إلى وحدة الوجود؛ ولكن تدبَّر القرآن المجيد، ومطالعة تاريخ الإسلام بإمعان عرفاني غلطي، وبالقرآن عدلت عن أفكارى الأولى، وجاهدت ميلي الفطري، وحَدَّتْ عن طريق آبائي. إن الرهبانية ظهرت في كل أمة وعملت لإبطال الشريعة والقانون؛ والإسلام في حقيقته هو دعوة إلى مخالفة الرهبانية.

والتصوف الذي شاع بين المسلمين — أعني التصوف العجمي — أخذ من رهبانية كل أمة، وجهد أن يجذب إليه كل نحلة، حتى القرمطية التي قصدت إلى التحلل من الأحكام الشرعية.

إن حالة السكر — في اصطلاح الصوفية — تنافر الإسلام وقوانين الحياة، وحالة الصحو — وهي الإسلام — توافق قوانين الحياة، وإنما قصد الرسول ﷺ إنشاء أمة صاحبة، ولهذا نجد في صحابة الرسول الصديق والفاروق، ولا نجد حافظاً الشيرازي ...

ولا أنكر عظمة الشيخ ابن عربي وفضله، بل أعده من كبار فلاسفة المسلمين، ولا أرتاب في إسلامه؛ فإنه يحتج لعقائده، كقوم الأرواح ووحدة الوجود، بالقرآن مخلصاً، فأراؤه على صوابها وغلطها قائمة على تأويل القرآن. وأرى أن تأويله غير صحيح، فأنا أعده مسلماً مخلصاً، ولا أتبعه في مذاهبه.

ويقول في رسالة أخرى إلى أحد المعترضين:

الحق أن التماس معانٍ باطنة في قانون أمة، هو مَسْخُ لهذا القانون، كما يعلم من سيرة القرامطة، ولا يختار هذه الطريقة إلا أمةً في فطرتها الخنوع والذلة. وفي شعراء العجم جماعة في طباعهم الميل إلى الإباحة ... وقد افتنَّ هؤلاء الشعراء في إبطال شعائر الإسلام بأساليبٍ عجيبة خداعة.

## المدخل

وفي رسالة أخرى إلى هذا المعترض نفسه يقول إقبال:

كل شعر التصوف ظهر في زمان ضعف المسلمين السياسي، وكل أمة يصيبها  
ضعف كالذي أصاب المسلمين بعد غارات التتار، تتبدّل أنظارها وتجمّل  
الاستكانة في أعينها، وتركن إلى ترك الدنيا، وفي هذا الترك تخفي ضعفها  
وهزيمتها في تنازع البقاء ...



# خلاصة المقدمة التي كتبها إقبال لأسرار خودي

ما هذا الشيء الذي نسميه «أنا» أو «خودي» أو «مين» الذي يبدو في أعماله ويخفى في حقيقته، والذي يخلق كل المشاهدات، ولكن لطافته لا تحتل المشاهدة؟ أهو حقيقة دائمة أم أن الحياة تجلت في هذا الخيال الخادع، وهذا الكذب النافع، تجلياً عرضياً لتحقيق مقاصدها العملية الراهنة؟

إن سيرة الأفراد والجماعات موقوفة على جواب هذا السؤال ... ولكن جواب هذا السؤال لا يتوقف على المقدرة الفكرية في الأحاد والجماعات، كما يتوقف على طباعها وفطرتها، فأمام الشرق المتفلسفة أميل إلى أن تعتبر «أنا» في الإنسان من خداع الخيال، وهي تعدُّ الخلاص من هذا الغلُّ نجاة، وميلُ أهل الغرب إلى العمل ساقهم إلى ما يلائم طباعهم في هذا البحث.

ويمضي إقبال في مقدمته قائلاً:

اختلطت في عقول الهنادك وقلوبهم النظريات والعمليات اختلاطاً عجيبيًا، ودقق حكمائهم في حقيقة العمل، وانتهوا إلى هذه النتيجة: إن حياة «أنا» المسلسلة، وهي أصل المصائب والآلام، تنشأ من العمل، وإن حالة النفس الإنسانية نتيجة محتومة لأعمالها.

وكانت رسالة الإسلام في غربي آسيا دعوة إلى العمل بليغة، فالإسلام يرى أن «أنا» مخلوق ينال الخلود بالعمل، ولكن تشابهاً عجيبيًا في تاريخ الفكر الهندي والإسلامي، يظهر في بحث هذه المسألة، فالفكرة التي فسر بها شنكر أجاريه، كتاب الجيتا «كيتا» هي

الفكرة التي فسر بها القرآن محيي الدين بن عربي الأندلسي، وكان له أثر بليغ في عقول المسلمين وقلوبهم، جعل ابن عربي بعلمه ومكانته مسألة وحدة الوجود عنصراً في الفكر الإسلامي، واقتفى أثره أوجد الدين الكرمانلي وفخر الدين العراقي، حتى اصطبغ بهذه الصبغة كل شعراء العجم في القرن السادس الهجري.

خاطب فلاسفة الهند العقل في إثبات وحدة الوجود، وخاطب شعراء إيران القلب، فكانوا أشد خطراً وأكثر تأثيراً، حتى أشاعوا بدقائهم الشعرية هذه المسألة بين العامة؛ فسلبوا الأمة الإسلامية الرغبة في العمل.

وتمتاز أمم الغرب بين أمم العالم بميلها إلى العمل، فأراؤهم خير دليل لأمم المشرق إلى فهم أسرار الحياة.

وبدأت الفلسفة الجديدة في الغرب من وحدة الوجود التي دعا إليها الفيلسوف الهولندي الإسرائيلي<sup>٢</sup>، ولكن مسحة العمل غلبت على طبائع الغرب، فلم يلبث طويلاً طلسم وحدة الوجود التي أثبتت بأدلة رياضية، سبق الألمان إلى إثبات حقيقة «أنا» الإنسانية المستقلة، ثم تحرر من هذا الطلسم الخيالي فلاسفة الغرب على مر الزمان ولا سيما فلاسفة الإنكليز.

ويختم إقبال بقوله:

هذه خلاصة تاريخ المسألة التي هي موضوع هذه المنظومة، وقد اجتهدت أن أحرر هذه المسألة الدقيقة من تعقيد الأدلة الفلسفية، وألونها بألوان الخيال ليتيسر إدراك حقيقتها.

ولم أقصد بهذه الديباجة إلى تفسير هذه المنظومة، ولكن أردت أن أدل على الطريق من لم يُلمّ من قبل بدقائق هذه المسألة العسيرة. ولا ينبغي هنا أن أتناول هذه المنظومة من حيث الشعر، فإنما خيال الشعر فيها وسيلة إلى توجيه الناس إلى هذه الحقيقة:

إن لذة الحياة مرتبطة باستقلال «أنا» وبإثباتها وإحكامها وتوسيعها، وهذه الدقيقة تمهد إلى فهم حقيقة «الحياة بعد الموت».

وينبغي أن يعلم القراء أن لفظ «خودي» لا يستعمل في هذه المنظومة بمعنى الأثرة كما تستعمل في اللغة الأردية غالباً، إنما معناها الإحساس بالذات أو تعيين الذات. وهي بهذا المعنى في كلمة «بيخودي» كذلك.



خلاصة المقدمة التي كتبها إقبال لأسرار خودي

## هوامش

(١) مين بالأردية معناها أنا.

(٢) يعني اسبنوزا.



## خلاصة مقال الشاعر إلى الأستاذ نكلسون

مذهب الأستاذ بريدي أن كل مركز للشعور محدود، أي كل ذات مفردة، خداع نظر باطل، وأنا أقول — على خلاف هذا: إن مركز الشعور المحدود الذي لا يدرك «الذات» هو حقيقة الكائنات، فالذات حق لا باطل.

الحياة كلها فردية، وليس للحياة الكلية وجود خارجي، وحيثما تجلت الحياة تجلت في شخص أو فرد أو شيء، والخالق كذلك فرد؛ ولكنه أوجد لا مثل له. وظاهرٌ أن هذا التصور للكائنات يخالف كل المخالفة ما ذهب إليه شراح فلسفة هيكل من محدثي الإنكليز، ويخالف أصحاب وحدة الوجود الذين يرون أن مقصد حياة الإنسان: أن يفني نفسه في الحياة المطلقة أو «أنا» المطلق، كما تفنى القطرة في البحر. أرى أن هدف الإنسان الديني والأخلاقي، إثبات ذاته لا نفيها، وعلى قدر تحقيق انفراده أو وحدته، يقرب من هذا الهدف.

قال الرسول ﷺ: «تخلقوا بأخلاق الله» فكلما شابه الإنسان هذه الذات الوحيدة كان هو كذلك فردًا بغير مثيل.

وتنقص فرديته على قدر بعده من الخالق، والإنسان الكامل هو الأقرب إلى الله، ولكن ليس القصد من هذا القرب أن يفني وجوده في وجود الله — كما تقول فلسفة الإشراق — بل هو على عكس هذا، يمثل الخالق في نفسه.

الحياة رقيٌّ مستمر، تسخر كل الصعاب التي تعترض طريقها، وحقيقتها أن تخلق دائمًا مطالب ومُتلاً جديدة، وقد خلقت من أجل اتساعها وترقيتها آلات كالحواس الخمس والقوة المدركة لتقهر بها العقبات والمشقات.

وأشد العقبات في سبيل الحياة: المادة أو الطبيعة، ولكن المادة ليست شرًا كما يقول حكماء الإشراق، بل هي تعين الذات على الرقي، فإن قوى الذات الخفية تتجلى في مصادمة هذه العقبات.

وإذا قهرت الذات كل الصعاب التي في طريقها بلغت منزلة الاختيار، الذات نفسها فيها اختيار وجبر، ولكنها إذا قاربت الذات المطلقة نالت الحرية الكاملة، والحياة جهاد لتحقيق الاختيار، ومقصد الذات أن تبلغ الاختيار بجهادها.

## دوام الذات أو الشخصية

مركز حياة الإنسان ذات «خودي» أو شخص، أعني: أن الحياة حينما تتجلى في الإنسان تسمى ذاتًا.

وشخصية الإنسان — من الوجهة النفسانية — حال من التوتر، ودوام الشخصية موقوف على هذه الحال، فإن زالت هذه الحال عقبتها حال من الاسترخاء مضره بالذات، فإن يكن في حالة التوتر هذه كمال الإنسان فأول فرض عليه أن يعمل لدوام هذه الحال والحيلولة دون حال الاسترخاء.

وكل ما يمكّننا من إدامة حال التوتر يمكّننا من الخلود.

وهذا التصور للشخصية يقوم معيارًا ليقيم الأشياء، أعني أن في ذاتنا معيار الحسن والقبح، وبهذه تُحل مسألة الخير والشر، فما يقوي الذات خير وما يُضعفها شر، ويجب أن يقوم الدين والأخلاق والفنون بهذا المعيار أيضًا.

واعتراضي على أفلاطون هو في أصله اعتراض على كل النظم الفلسفية التي تقصد إلى الفناء لا البقاء والتي تُغفل المادة، وهي أكبر العقبات في سبيل الحياة، وتدعو إلى الفرار منها لا إلى تسخيرها والتسلط عليها.

وكما تعرض مسألة المادة في مبحث حرية الذات، تعرض مسألة الزمان في مبحث خلودها.

يقول برجسون: إن الزمان ليس خطأ ممتدًا إلى غير نهاية يتحتم علينا المرور به، هذا التصور للزمان غير صحيح، فالزمان الخالص لا يدخل فيه تصور الطول، أي لا نستطيع قياسه بمقياس الليل والنهار.

إن خلود الذات أمل، من أراد أن يظفر به فليجد ويدأب لبلوغه، والظفر به موقوف على أن نسلك طريقًا للفكر والعمل في هذه الحياة يعيننا على حفظ حالة التوتر، ولا

يستطيع إبلاغنا هذا الأمل دين بوذا والتصوف العجمي، وما إلى هذين من نظم الأخلاق الأخرى، لقد أضرت بنا هذه الطرق فأضرعتنا وأنامتنا، إن هذه المذاهب هي الليالي في أيام حياتنا.

## تربية الذات

لا ريب أن الذات تستحكم بالعشق، ومفهوم العشق هنا واسع جداً، ومعناه: إرادة الجذب والتسخير، وأعلى أشكاله أن يخلق مقاصده ويجد في نيلها، وخاصة العشق أفراد العاشق والمعشوق، أعني: إظهار الانفراد والاستقلال فيهما، وإذا جدَّ الطالب في طلب الأوحى الأسمى ظهر فيه التوحد، ويتحقق ضمناً توحد المطلوب؛ لأنه إن لم يكن واحداً مستقلاً بنفسه لم يسكن الطالب إليه، إنما يمكن عشق شخص أو وجود معين، ولا يمكن لشخص عشق كائن غير مشخص.

وكما تستحكم الذات بالعشق تضعف بالسؤال، وكل ما ينال بغير جهد يعد سؤالاً، فالذي يرث مال غيره سائل، والذي يتبع أفكار غيره أو يدعها لنفسه سائل. والخلاصة: أنه ينبغي — لأجل إحكام الذات — أن نخلق في أنفسنا العشق، ونتجنب كل ضروب الاستجداء (أي: البطالة).

إن في حياة الرسول ﷺ أسوة حسنة للمسلم، فقد كانت حياته خير مثل للسعي الدائم، لقد كانت حياته كلها صورة للعمل. أشرت في فصول من هذا المتنوي إلى أصول فلسفة الأخلاق الإسلامية، وبيّنت أن لكمال الذات ثلاث مراحل:

- (١) إطاعة القانون الإلهي.
- (٢) وضبط النفس.
- (٣) والنيابة الإلهية.

والنيابة الإلهية في هذه الدنيا هي أعلى درجات الرقي الإنساني، ونائب الحق «الله» خليفة الله في الأرض، وهو أكمل ذات تطمح إليها الإنسانية، وهو معراج الحياة الروحي. وأول شرط لظهور نائب الحق أن ترقى الإنسانية في جانبيها الروحي والجسمي؛ فإن ارتقاء الإنسانية يقتضي ظهور أمة مثالية يتجلى في أفرادها — في الجملة — هذا التوحد الذاتي، وتصلح لأن يظهر فيها نائب الحق.

فمعنى سلطان الله في الأرض: أن تقوم فيها جماعة شورية يتوحد أفرادها، ويقوم على هذه الجماعة واحد يمكن أن يسمى نائب الحق أو الإنسان الكامل، وهذا الإنسان الكامل يبلغ ذروة الكمال التي لا تتصور فوقها ذروة. وقد رأى نطشه (الفيلسوف الألماني المعروف) ضرورة ظهور هذه الأمة المثالية، ولكن دهريته وإعجابه بالسلطان مسخا فلسفته كلها ا.هـ.

هذه خلاصة رسالة إقبال إلى الأستاذ نكلسون، وحسبنا في إيضاح مذهبه ما قدمنا من تلخيص رسائله ومقدمته لأسرار الذات، ورسالته إلى نكلسون.

## أسرارُ إثبات الذات

رأيتُ الشيخَ بالمصباحِ يسعى  
يقول: مللتُ أنعامًا وبهَمًا  
برمتُ برفقةِ خارتِ قواها  
فقلنا: ذا مُحالٌ، قد بحثنا،  
له في كل ناحية مجال  
وإنسانًا أريد، فهل يُنال؟  
برستُم أو بحيدر اندمال<sup>١</sup>  
فقال: ومُنيتي هذا المحالُّ

مولانا جلال الدين الرومي

### تمهيد

ليس في أعواد غابي سَقَطُ  
هي للمنبر أو أعواد صَلْبُ<sup>٢</sup>

نظيري النيسابوري

قطع الصبحُ على الليل السفرُ  
غسل الدمعُ سُبَاتِ النرجسِ  
جَرَّبَ الزارعُ قولي مُحَصِّدا  
إنَّه حَبُّ دموعي زَرَعَا  
فَهَمَى دمعي على خدِّ الزهرِ  
وصحا العُشبِ بمَسْرَى نَفْسِي  
مِصرَعًا ألقى، وسيفًا حَصِّدا  
نَسَجَ الروضِ وأناتِي معا

ذرَّةٌ قد نالت الشمسَ أنا  
 طينتي من جَامِ جَمِّ أنورُ  
 من غيوبِ الكونِ عندي خبرٌ<sup>٢</sup>  
 صَيِّدُ أفكارِي ظِبَاءٌ لم تُرَمْ  
 لم تُسَيِّبْ بَعْدُ من قِيدِ العَدَمِ  
 زَانَ بُسْتَانِي عَشْبٌ ما ظَهَرَ  
 وجنيتُ الوردَ في جوفِ الشجرِ<sup>٤</sup>  
 محفِلُ الشادِينِ مني يَرْجُفُ  
 في وِتَارِ الكونِ كَفِّي تعزِفُ  
 صامِتُ في رِبَابِ الفِطْرَةِ  
 ما وَعَى عَنِّي جليسي نغمِتي  
 إنني شمسٌ قَريبٌ مولِدي  
 حُبُّكَا في فَلَكَ لم أَعْهَدُ  
 لم يَرُعْ ضوئي سِرْبَ الزُّهْرِ  
 أو يُرَجِّحُ زُنْبُقِي في البَصْرِ<sup>٥</sup>  
 ما رأتَ رقصَ ضيائي الأبحرُ  
 أنا من خوفِ طلوعِ أرعدُ  
 عينُ هذا الكونِ لي لا تَعهدُ  
 وبدا طَلُّ جَديدُ في الزَّهْرِ  
 مَرَّقُ الظلمةِ فجري فسَفَرُ  
 حبِّذا من حولِ ناري زمزما<sup>٦</sup>  
 إنني أرقبُ صَبْحًا مُعلمًا

\* \* \*

أنا لَحْنٌ دونَ ضَرْبٍ صَعْدًا  
 دُونَ عَصْرِي كُلُّ سَرٍّ قد خَفِي  
 أنا صوتُ شاعري يَأْتِي غدا<sup>٧</sup>  
 أنا في يَاسٍ من الصَّحْبِ القديمِ  
 ما بهذي السوقِ يُشْرِى يوسُفي<sup>٨</sup>  
 بحرُ صحبي قطرةٌ لا تَزْخُرُ  
 مُشْعَلُ طُوري ليغشاه كليمٌ<sup>٩</sup>  
 من وجودٍ غيرِ هذا لي غِناءُ  
 قطرتي كاليمٍ فيه صَرَصَرُ  
 كم تجلَى شاعرٌ بعدَ الجِمامِ  
 ولركبٍ غيرِ هذا لي حُداءُ  
 وجههُ من ظلمةِ الموتِ سَفَرُ  
 يوقظُ الأعينَ حينًا وِينامُ  
 ونما من قبره مثلُ الزَّهْرِ<sup>١٠</sup>

\* \* \*

كم بهذا السَّهْبِ مرَّتْ قافلُهُ  
 غيرَ أني عاشقٌ، ديني النُّواخُ  
 مثلُ سَيرِ النُّوقِ رهوًا سابلُهُ  
 أنا لَحْنٌ كلُّ عنه الوترُ  
 ثورةُ المحشرِ في هذا الصياحُ  
 أبعدِ القطرةِ عن سيلِ طما  
 لا أبالي أَنَّ عودي يُكسرُ<sup>١١</sup>  
 لا تعي موجي هذي الأنهرُ  
 وانظرنِ اليَمِّ منه التظما  
 ليس فيها لنموٌ روضةُ<sup>١٢</sup>  
 لا تعي لُجِّي إلا أبحرُ



كم بُرُوقِ نَائِمَاتٍ فِي الْجَنَانِ ضَاقَتْ الْبَيْدُ لَدَيْهَا وَالْقِنَانُ<sup>١٣</sup>  
 إِنْ تَكُنْ صَحْرَاءَ فَاطْلُبْ لَجَّتِي أَوْ تَكُنْ سِينَاءً فَاقْبِسْ شُعْلَتِي  
 قَدْ حُبِيتُ الْوَرْدَ مِنْ عَيْنِ الْحَيَاءِ وَوُهَبْتُ السَّرَّ مِنْ عَيْنِ الْحَيَاءِ<sup>١٤</sup>  
 أَشْعَلَ الذَّرَّةَ لِحْنِي الثَّائِرُ رَفْرَفْتُ فَهِيَ يَرَاعُ طَائِرُ  
 مَا نَاثَا ذَا السَّرَّ غَيْرِي فِي الْبَشْرِ لَمْ يَثْقُبْ نَاطِمٌ مِثْلِي الدَّرَّرُ  
 أَقْبِلُنْ إِنْ تَبَغَّ عَيْشَ الْخَالِدِينَ  
 أَقْبِلُنْ إِنْ تَبَغَّ مُلْكَ الْعَالَمِينَ  
 أَفْشَتِ الْأَفْلَاكَ لِي السَّرَّ الْقَدِيمَ كَيْفَ يُخْفَى السَّرُّ مِنْ دُونِ النَّدِيمِ؟  
 أَيُّهَا السَّاقِي! مِنَ الرَّاحِ اسْقِنِي وَأَسْ فِي قَلْبِي جِرَاحَ الزَّمَنِ  
 شَعْلَةُ الْمَاءِ الَّتِي مِنْ زَمَزَمَ قِيصَرُ يَعْنُو لَهَا كَالْخَدَمِ  
 مُقْلَةُ الْمُبْصِرِ مِنْهَا أَبْصِرُ قِيصَرُ يَعْنُو لَهَا كَالْخَدَمِ  
 تَجْعَلُ الرِّيْشَةَ طَوْدًا قَاهِرًا وَتُرَى الثَّعْلِبَ لَيْثًا زَائِرًا  
 هِيَ تَسْمُو لِلثَّرِيَّا بِالثَّرَى وَتَعِي الْقَطْرَةَ مِنْهَا أَبْحِرَا  
 تَجْعَلُ الصَّمْتَ ضَجِيجَ الْمَحْشِرِ تَجْعَلُ الدَّرَاجَ حَتْفَ الْأَصْفَرِ  
 امْلَأِ الْكَأْسَ بِصَفْوِ نَيْرِ نَوْرِ الْفِكْرِ بِنُورِ الْقَمَرِ  
 لِأَقْوَدِ الرِّكْبَ شَطْرَ الْمَنْزَلِ بَاعِنًا شَوْقَ السُّرَى فِي الْمُقَلِّ  
 رَائِيًا وَجَهَ جَدِيدِ الْأَمَلِ سَاعِيًا إِثْرَ جَدِيدِ الْعَمَلِ  
 فَارِيًا إِنْسَانَ عَيْنِ الْعَارِفِينَ وَارِي لِحْنًا بِأُذُنِ الْعَالَمِينَ  
 مُعَلِيًا قَدَرَ الْكَلَامَ الْمُبْدَعَ مَازَجًا فِيهِ غَزِيرَ الْأَدْمَعِ  
 قَارِيًا مِنْ فَيْضِ ذَا الشَّيْخِ الْعَظِيمِ كُتُبًا تُضْمِرُ أَسْرَارَ الْعُلُومِ<sup>١٥</sup>  
 قَلْبُهُ مِنْ شَعْلَةِ الْوَجْدِ اسْتَعَزَّ وَأَنَا فِي نَفْسٍ مِنْهُ شَرَّرُ  
 قَدْ رَمَى الشَّمْعُ فَرَّاشِي بِاللَّهَبِ وَغَزَتْ جَامِي الْحُمِيًّا فَالْتَهَبُ<sup>١٦</sup>  
 صَيْرَ الرُّومِيَّ طِينِي جَوْهَرًا مِنْ غُبَارِي شَادَ كَوْنًا آخِرَا  
 ذَرَّةً تَصْعَدُ مِنْ صَحْرَائِهَا لِتَنَالَ الشَّمْسَ فِي عَلِيَائِهَا  
 إِنَّنِي فِي لُجَّةِ مَوْجٍ جَرَى لِأَصِيبَ الدَّرِّ فِيهِ نَيْرَا  
 قَدْ عَرَّتْنِي نَشْوَةٌ مِنْ كَاسِهِ وَحَيَاةً نَلْتُ مِنْ أَنْفَاسِهِ

\* \* \*

وسرت «يا رب» في الليل السكون<sup>١٧</sup>      ليلة رانت على قلبي الشجون  
من صروف الدهر شك صائح      من فراغ الكأس قلبي نائح  
هيض سقطاه وللنوم هوى<sup>١٨</sup>      أرهق التسيار فكري فثوى

\* \* \*

من حكى قرآننا بالفهلوي<sup>١٩</sup>      لاح شيخ الحق ذاك الألمعي  
من شراب العشق فاجرع كل حين      قال: يا ولهان بين العاشقين!  
وأثر في القلب هول المحشر      شق في العين حجاب البصر  
واملاً العين دموعاً من دماء      واجعلن الضحك ينبوع البكاء  
انشرن كالورد ريحاً تفغم<sup>٢٠</sup>      أنت كالكلم صموت أبكم  
نوحك الصامت - في كل نفس      صعدن من كل عضو، كالجرس  
بلهيب منك أذك الآخرين<sup>٢١</sup>      أنت نار فأضئ للعالمين  
كن مُداماً واتخذ ثوب الزجاج<sup>٢٢</sup>      سر شيخ الحان أعلن في هياج  
واصدعن جهراً وأعلن ما استتر<sup>٢٣</sup>      وكن الفهر لمرأة الفكر  
حدثن قيساً عن الحي انتأى<sup>٢٤</sup>      حدثن كالنابي عن غاب نأى  
ومن الآهات في الحفل انفيث      جدد النوح بلحن محدث  
وزد الحي حياة من «قم»<sup>٢٥</sup>      كل حي فيه روحاً أحكم  
وانف عن قلبك ما قد سلفا      وهلم اسلك طريقاً أنفا  
واعرف اللذة في هذا النغم      جرس الركب! تنبه لا تنم

\* \* \*

صرت كالنابي، هياجاً أضمر      صرت نازاً في ثيابي تسعر  
شدت من حسن بياني إرما<sup>٢٦</sup>      ثرت من أوتار نفسي نغماً

فرفعت الستر عن سرّ خودي

فبدا الإعجاز من أمر خودي<sup>٢٧</sup>

كان كوني صورة لم تكمل      كان سقطاً مهملاً في الهمل  
مبرد العشق براني رجلاً      كيف هذا الكون والكلم جلاً<sup>٢٨</sup>  
فرأت عيناى نبض الأنجم      ويعرق البدر دورات الدم<sup>٢٩</sup>  
وبكيت الناس جنح الظلم      فبدا سر حياة الأمم

مَصْنَعُ الكون أراني ما حواه  
أنا — مَنْ في ظلمة الليل أنار —  
صوتُها في الشرق والغرب علا  
ذرَّةً أَلقت وشمسًا حصدتْ  
أهتي الحَرَّى سَمَت فوق العَنانُ  
قلمي في مسرح الفكر علا  
فتجَلَّى سرُّ تقويم الحياة  
في طريق الملة البيضاء غبار<sup>٢٠</sup>  
لحنُها في القلب نارًا أشعلا  
ألفَ روميٍّ وعطَّار جنت<sup>٢١</sup>  
عترتي النارُ، وإن كنتُ الدخان<sup>٢٢</sup>  
فجلا الأسرار في السبع العُلا

\* \* \*

ما قصدت الشعر في هذا النغم  
أنا هنديٌّ شأني الفارسي  
لا تؤمِّل عندنا حسن البيان  
ذاكمُ الهنديُّ يحكي السكرًا  
سحرَ الفكر تجلِّيه وراعُ  
قد علا فكري، وهذا الفارسي  
نحتَ أصنام وتعظيمَ صنم<sup>٢٣</sup>  
وهلال أنا ذو جام خلي<sup>٢٤</sup>  
لحنَ خنُसार به أو أصفهان<sup>٢٥</sup>  
لكن الدُرِّيُّ أحلى مخبَّرًا<sup>٢٦</sup>  
فإذا لي شجر الطور يراع<sup>٢٧</sup>  
لاءم الفطرة في فكري العلي

أيها العائب كأس الخندريس!

انظرن يا صاح ما تحوي الكئوس<sup>٢٨</sup>

### في بيان أن نظام العالم من الذاتية وأن تسلسل حياة أعيان الكون لا يكون إلا باستحكامها

هيكل الأكوان من آثارها  
نفسها قد أيقظت حتى انجلي  
ألفُ كون مختفٍ في ذاتها  
جعلت بزر خصام بزرها  
خلقت أضدادها من نفسها  
تبتلي في نفسها قوتها  
خُدعُ من وهمها عينُ الحياة  
تُخرب البستان أجل الوردة  
كلُّ ما تبصر من أسرارها  
عالم الأفكار ما بين الملا  
غيرها يثبت من إثباتها  
نفسها تنظر فيها غيرها  
لترى لذتها في بأسها  
لترى من نفسها قدرتها  
غسلها في دمها عين الحياة<sup>٢٩</sup>  
تكثر النوح لأجل النغمة

ولحرف واحد ألف مقال	لِفُليكَ واحد أَلْفُ هلال
أنها تبغي جمال الخلقة <sup>٤٠</sup>	عذرها في سَرْفٍ أو قسوة
ومن المسك رَدَى ظَبْيِي الخُنَّ <sup>٤١</sup>	حُسْنُ شيرينَ لفرهادَ مَحَنُ
عذره في شمعه المشتعل	في فَراشِ حرقة كالشعل
ليُجَلِّيَ في سناه غُدْها	أَلْفُ يوم سَطَّرته يَدْها
لسراج يُرْتَجِي من أحمد <sup>٤٢</sup>	أَلْفُ إبراهيم في النار اغتدى

\* \* \*

وهي العلة وهي القابل	همَّها الأعمال فهي الفاعلُ
واحتراق واختفاء وظهور <sup>٤٣</sup>	ثورة فيها وإجفال، ونور
والسماء النقع يعلو سُبَلْها	سَعة الأيام مَيدانُ لها
نومها الليل، وفي الصحو النهار	يدها في الطين، للكون ازدهارُ
فرأى الأجزاء عقلُ المُفكر	قسَّمت شعلتها في شَرَر
تُنشئ الصحراء إِمَّا تنتشر	تخلق الأجزاء إِمَّا تَنفطر
فاحزَلَّت فبدت شمُّ الجبال <sup>٤٤</sup>	ثم صارت بانتشار في ملال
وهي في الذرات بأس وضيء	شيمة الذاتِ التجلِّي لا الخفاء
عملُ اليوم لآتيها عِلل	قوة صامته جلفُ عَمَلُ
فعلى قدر القوي قدر الحياه	قوة الذات من الكون النواه
فإذا القطرة يوماً درَّة <sup>٤٥</sup>	كَلِمة الذات تعيها قطرة
ومن الكأس استعارت شكلها <sup>٤٥</sup>	خارت الخمر فلا شكل لها
فغدا صحراء تغشاها البحار <sup>٤٦</sup>	وسها طود عن النفس فحار

\* \* \*

تخفق العين بشوق الجلوة	يُعقد النور لخلق المقلّة
شقَّ صدر المرح حتى يظهرها	وإذا العشب نماءً أضمرها
ومن الذرات يُعلي رأسه	يجمع الشمع بعزم نفسه
فتراه دمع عين هملا <sup>٤٧</sup>	ويذيب النفس إِمَّا غَفَلَا

\* \* \*

شدَّت الأرض قواها فالقمر في طواف حولها لا مستقرَّ  
 وكيانُ الشمس منها أكبرُ فلها عينُ ذكاءٍ تسحر  
 وعلا الحورُ فهال الناظرا وعلا الطودُ أبيتا قاهرا  
 وارتدى كسوة نار حاميه أصله حبة نبت آبيه<sup>٤٨</sup>  
 إنَّ ذاتا جمعتُ أسرَ الحياه  
 من غدير أزخرت بحرَ الحياه<sup>٤٩</sup>

### في بيان أن حياة الذات بتخليق المقاصد وتوليدها

إنما يُبقي الحياة المقصِدُ سرُّ عيشٍ في طِلابٍ مُضمَر  
 أحيي في قلبك هذا الأملأ لا يحلُ طينكُ قبرا مُهملا  
 يخفق القلبُ به بين الصدورُ هو في صدرك مرآة تُنير  
 يهبُ التربُ جناحا يصعدُ ولموسى العقلِ خضرا يُرشد<sup>٥١</sup>  
 إنما يحيا الفؤادُ الأملُ وإذا حيي يموت الباطلُ  
 فإذا عي بتخليق المُنَى هيضُ سقطاه وأودى وهنا  
 أملُ الذاتِ لهيبٌ يستعزُ أو هو الموج الذي لا يستقرُ  
 وهقُ المقصودِ حبلُ الأملِ إنه خيطُ كتابِ العمل<sup>٥٢</sup>  
 ومماتَ الحيُّ فقدانَ الرجاءِ يُطفئُ الشعلةَ فِقدانِ الهواءِ

\* \* \*

كيف فينا أعين قد ظهرت؟ لذةُ الرؤية فينا صوّرت<sup>٥٣</sup>  
 من مَنى التَّخَطُّارِ رجلُ الحَجَلِ من مَنى التَّغْرِيدِ حَلَقُ البَلْبَلِ  
 حيي نايي قد نأى عن غابه أطلق النغمة من أوصابه  
 ذلك العقل الذي الكونَ طوى وترى الإعجاز فيه والقوى  
 إنما أصل الحياة الأملُ فكذاك العقل منه يُنسل<sup>٥٤</sup>

\* \* \*

ما نظامٌ في شعوبٍ وسُنن؟ ما ترى التجديدَ في علمٍ وفنٍّ؟<sup>٥٥</sup>  
أملٌ من قوةٍ فيه ظهْرُ كل ما نملك من هذي الحواسِّ  
كل فكرٍ وخيالٍ واعتبارٍ كل حُسٍّ وشعورٍ وانكازٍ  
هي آلات الحياة الجاهدة ليس قصد العلم والفنِّ الفكرِ  
ليس قصد العلم وقاءً للحياة إنما العلم وقاءً للحياة  
لحياة العلم والفنِّ خَدَم للحياة العلم والفن حَشَم

\* \* \*

جاهلاً سرَّ الحياة! اجتهدِ وامض نشوانَ بخمر المقصدِ  
مقصدٍ كالصبح في أنواره محرقٍ كل «سويِّ» في ناره  
مقصدٍ يجتاز أفاق السماء يأخذ القلب بحُسن وبهاء  
ثورةٍ فيه وفيه محشرٌ وعلى الباطل حرباً يُسعرُ  
نحن أحياء بخلق الأملِ نحن في نور بهذي الشعل

### في بيان أن الذات تستحكم بالمحبة والعشق

نُقَط النور التي تُدعى الذوات مُشعلٌ بالحبِّ منها الجوهرُ  
قطرةٌ بالعشق تُوعِي ضرماً وهي بالعشق تُنير العالماً<sup>٥٦</sup>  
لا يهاب العشقُ في السيف المضاء ليس من ماء وترب وهواء  
هو في العالم صلحٍ وخصامٍ للحياة الماء من هذا الحسام  
نظرة العشق بها شقُّ الصخور هو عشقُ الحق، والحقُّ يصير  
فابغ في طينك هذي الكيمياء اقبسُن من كاملِ هذا الضياء<sup>٥٧</sup>  
امض كالروميِّ شمعاً يشتعل وارم من تبريز في الروم الشعل<sup>٥٨</sup>  
إن في قلبك معشوقاً ثوى أقبلن أنبئك عن هذا الجوى

حبُّهم في كل قلب لا يحول  
 للثريا يرتقي منه الثرى<sup>٥٩</sup>  
 طار وجدًا مُصعِدًا نحو السماء  
 عِزَّةُ المسلم ذكرى المصطفى  
 داره، للكعبة العظمى حَرَمٌ  
 مستمِدٌّ من مداه الأمد  
 وعلت تيجان كسرى أُمَّتُه  
 أُمَّةٌ مِنْهَا وَحُكْمًا مُشْرِقًا  
 فحبا الأمة مُلْغًا خالداً  
 عينه في الذكر بالدمع تجود  
 حين يدعو الحقُّ بالنصر المُبين  
 ومن الماضين مُلْغًا بدداً  
 عِقْمَتٌ عن مثله أمُّ السنين  
 هو والعبد سواء في الطعام<sup>٦٠</sup>

عاشقوه قد شأوا كلَّ جميل  
 عشقُه في القلب نورٌ أسفرا  
 تُرِبٌ نجدٍ منه قد خفَّ وضاء  
 مهجة المسلم مَنوَى المصطفى  
 موجةٌ من نَقْعِ الطورِ الأشمِّ  
 ضاق عن أن حواه الأبدُ  
 آثرت سُحق حصير عَفَّتُه  
 خلواتٌ في حِراءِ خَلَقَا  
 كم ليالٍ قد قضاها ساهدا  
 سيفه في الحرب قَطَّاعِ الحديدِ  
 سيفه «أمين» تمحو الظالمين  
 سُنَنًا في كوننا قد جددا  
 فتح الدنيا له مفتاح دينُ  
 استوى مولى لديه وغلما

\*\*\*

من علا طيًّا بجدواه وساد<sup>٦١</sup>  
 مُطرقٌ في ذلِّه الطرفُ الكسير  
 إذ رأى وجهًا ورأسًا حاسرًا  
 ليس يكسونا لدى الأقوام شَيِّ  
 وهو في الحشر إلينا ناظر  
 لصديق وعدوٌّ رأفُهُ  
 قال: «لا تثريب» وهو القادر<sup>٦٢</sup>  
 نحن من عينين نورٌ لا مِراء<sup>٦٣</sup>  
 كالندى في وجه صبح مُشرق  
 كزجاج نحن في الدنيا، وراح<sup>٦٤</sup>  
 ناره قد أحرقت هذا الهشيم  
 ضمنا منه نظامٌ ألفا

أسرتُ في غزوة بنتُ الجواد  
 رجلها في القيد والرأس حسيز  
 بُردةٌ ألقى عليها ساترًا  
 نحن أعرى في الورى من أختِ طيِّ  
 هو في الدنيا علينا ساترُ  
 لطفه والقهر كلُّ رحمة  
 وبيوم الفتح هذا الغافر  
 إننا من قَيدِ أوطان براء  
 نحن في مغربنا والمشرق  
 أسكرتنا عينُ ساق في البطاح  
 قد محا الأنسابَ طرًّا ذا العظيم  
 نحن زهر وشذانا ائتلفا

نحن كُنَّا سِرَّهُ فِي قَلْبِهِ فَأَذَاعَتْ صِيحَةً الْحَقِّ بِهِ

\* \* \*

عشقه ثار بعودي الصامت  
ما حديثي عن ولاء واشتياق؟  
صورتني قد أوضحت مرأته  
ثورة الحشر بليلي النائم  
إنني البستان في آذاره  
قد غرست العين في حقل الوداد  
قد شأى الدارين من يثرب طيب  
أنا للجامي في الشعر فداء  
قال بيتًا بالمعاني يفهق  
هو عنوان كتاب العالمين

ألف لحن في فؤادي الساكت  
قد بكى جذع موات للفراق<sup>٦٥</sup>  
أنا صبح أطلعت آياته  
وهدوئي في اضطراب دائم  
في عروقي الماء من أمطاره<sup>٦٦</sup>  
من سراح العين لي هذا الحصاد<sup>٦٧</sup>  
حبذا دار بها مثنوى الحبيب!  
نظمه والنثر من جهلي دواء<sup>٦٨</sup>  
فيه دُرٌّ من مديح يبرق  
سيد الكونين، مولى الثقلين

\* \* \*

كم يُريك العشق من صهبائه  
أحكم العشق بتقليد الحبيب  
في جراء القلب فاقعد خاليًا  
اقوين بالحق ثم ارجع إليك  
اقوين بالعشق في سلطانه

فترى التقليد من أسمائه<sup>٦٩</sup>  
لتنال القرب من ربٍّ مجيب  
وإلى الحق فهاجر راضيًا  
واحطمن اللات والعزى لديك<sup>٧٠</sup>  
وابتغ الجلوة في فارانه<sup>٧١</sup>

تظفرن بالقرب يا ذا السائل!

وتكن تفسير «إني جاعل»<sup>٧٢</sup>

### في بيان أن الذات تضعف بالسؤال

أيها الجابي من الأسد الخراج!  
ذلك الإعواز أصل العِلل  
سالب الرفعة من فكر رفيع

صرت كالثعلب خبًا باحتياج  
كلُّ ألامك من ذا المُعضل  
مطفئ الشمع من الذهن البديع



من كنوز الدهر أخرج ما تريد  
وعن الرّحل ترجّل كعمر  
صاح! حتّامَ اجتداء المنصب؟  
تجد الإفلاس بالسؤال أذلّ  
فرّق الذات سؤالاً واجتداء  
إن يكن في الرزق والجّد عناء  
لا ترم في الأرض رزقاً بالبكاء  
احذر الخزي أمام المصطفى  
من سماط الشمس يقات القمّر  
جاهد الأيام والله استعِن  
علم الناس الصدوق الصائب  
ويح من يحمل ذلّ النعمة  
أرهق النفس بوقر الذلة  
مرحباً بالظامئ الضحيان لا  
بسؤال الناس لم يُند الجبين  
تحت هذي الشمس يمضي ذا الفتى  
زاد في العسر مضاء حدّه

وخذ الصهباء من دنّ الوجود  
احذرن من منّة الناس، الحذر<sup>٧٣</sup>  
فيم كالطفل ركوب القصب<sup>٧٤</sup>  
وترى السائل أخزى وأقلّ  
فببت سيناؤها دون ضياء<sup>٧٥</sup>  
وطغى حولك سيل من بلاء  
لا ترجّ الماء من عين ذكاء<sup>٧٦</sup>  
يوم يخزي كل ساع ما وفى  
فعلية وسم نعامها ظهر<sup>٧٧</sup>  
ماء وجه الملة البيضاء صنّ  
أن «حبيبُ الله ساع كاسب»<sup>٧٨</sup>  
خافض الرأس لثقل المنّة  
بنقير باع تاج العزة  
يسأل الخضر شراباً في الفلا<sup>٧٩</sup>  
ذا كم الإنسان، لا ماء وطين  
عالي الرأس كسرو قد عتا  
هو يقظان وغاف جدّه<sup>٨٠</sup>

كُن حَبَابًا مِنْ عَطَاءِ يَنْفِر  
فَارَغَ الْكَأْسَ بِبَحْرِ يَزْخَرُ<sup>٨١</sup>

### في بيان أن الذات تستحكم بالمحبة والعشق فتسخر قوى العالم الظاهرة والباطنة

أمرها في الكون طرّاً يحكم  
يدها من قوة الحق أثّر  
في خصومات الورى أقوى حكّم  
اسمعن مني حديثاً عن وليّ

حينما الذات بعشق تحكّم<sup>٨٢</sup>  
فإذا ما أمأت شقّ القمر  
صاغر في حكمها دارا وجّم<sup>٨٣</sup>  
اسمه في الهند مشهور عليّ<sup>٨٤</sup>

ذلك الصِّداح في المرج القديم  
 سالكُ سكران من خمرفته  
 وأتى العاملُ في موكبه  
 صاح للتطريق جنديّ نكير  
 ومضى الدرويش في تسياره  
 فأتى ربُّ العصا في شِرتِه  
 فتنحَّى عن طريق العامل  
 ومضى يشكو إلى شيخ الطريق  
 زمجر الشيخ بقول من ضَرَم  
 ثم أملى الشيخ سطرًا من لَهَبْ  
 أمسك المِزْبِرَ واكتب ذا النذير  
 عامل عندك غِرٌّ قد عصا  
 اعزل العامل، هذا الفاجرا  
 عبد حق فيه لله احتساب  
 أدهُ غمٌّ وخوف لا يحول  
 قيّد العامل بالقيد الثقيل  
 ورأى خُسرو له خير سفير  
 ساحر الألباب في ألحانه  
 ولها خسرو بأوتار الرباب  
 فطرةٌ كالطود في عزَّتِه

قصَّ أخبارًا عن الورد الشميم<sup>٨٥</sup>  
 قصد الأسواق في بغيته  
 معه الحرَّاس قد حفَّتْ به  
 أيها الأحمق أفسح للأمير  
 غارقًا في اللجِّ من أفكاره  
 ضاربًا رأس الفتى في غفلته  
 وهو في نعر وحزن قاتل  
 دَمَعُه من محبس العين طليق  
 مثلَ بَرَقٍ في ذُرَى الطود اضطم  
 قال للكاتب في نار الغضبِ  
 أبلغ السلطان عن هذا الفقير  
 وعلا رأس غلامي بالعصا  
 أو أهَبْ مُلكك مَلَكًا آخرا  
 أرعد السلطانَ منه ذا الكتاب  
 فحكى في لونه شمس الأصيل  
 واستغاث الشيخ للصفح الجميل  
 ذلك الكوكب وضاء الضمير<sup>٨٦</sup>  
 مستمد الغيب في تبيانه  
 فأهاج الشيخَ وجدًا وأذاب  
 خشعت للحن في رقَّتِه

احذرن لا تجرحن قلب فقير  
 لا ترُجَّ النفس في نار السعير

## قصة في معنى أن مسألة نفي الذات من مخترعات الأمم المغلوبة لتضعف الأمم الغالبة بهذه الطريقة الخفية

قد سمعنا أن في عصر قديم  
وفَزَتْ نَسْلاً بذا المرعى الخصب  
ثم أَلَوَى بِمُنَاهَنَّ القَدْرَ  
دهمتها الأسدُ من آجامها  
آيَةُ القُوَّةِ حَكم قاهر  
ضربَ اللَّيْثِ طَبولَ النُوبَةِ  
وكسى المَرعى بِصبغٍ أحمرًا  
جمعَ ضأنٍ كان في مَرعى يُقيمُ  
فارغاتِ البَالِ من لِيْثٍ وَذِيْبٍ  
ورمى بالسهم فيهنَّ الدهرُ  
ناشراتِ الذعرِ في أَيامها  
سرُّها الظاهر فتح الظافرُ  
أخذًا آفاق هذي الثَّلَّةِ<sup>٨٧</sup>  
ما سَوَى الفَرَسِ لدى أَسَدِ الشَّرَى

\* \* \*

وانبرى كبش ذكيُّ ذو عُمرٍ  
غمَّه ما قد يعانى سربُه  
أمره أحكم في تدبيره  
باحتيال العقل يحمي نفسه  
قوة التدبير في دفع الضرر  
فإذا ما ثار للثأر الجنونُ  
قال: أمر حار فيه العاقلُ  
كيف للضأن قتالُ الأسدِ  
ليس وعظُّ من بليغ قادرًا  
لكن الليثُ تراه حَمَلًا  
فادعى في القوم دَعوى مُلهمٍ  
قال: كلُّ القوم «كذَّابُ أَشْرُ»  
جئتُ للناس بِشِرعٍ مُحكمٍ  
عَجَلوا التوبة عن كلِّ قبِيحٍ  
ويحَ جَلْدُ أَحكمت فيه قِوَاهُ  
عَلِفَ العُشْبِ به الروح تطيبُ  
حَدَّةُ الأَسنانِ عارٌ مُبرَمٍ  
جَرَّبَ الأحداثِ من حُلوٍ ومُرٍّ  
من فِعالِ الأَسَدِ يَدَمَى قلبُه  
وهو يشكو الدهر في تقديره  
كلُّ رِخوٍ ليس يرجو بأسه  
في زمان الضعف أقوى وأمرٌ  
صار عقل العبد خَلَّاقَ الفتونِ  
بَحْرُ غَمٍّ ليس فيه ساحلٌ<sup>٨٨</sup>  
ساعِدُ رِخوٍ وفولانُ يَدِ<sup>٨٩</sup>  
أن يردَّ الكبش نَثْبًا كاسرا  
إن سها عن نفسه أو غَفلا  
مرسلٍ للأسد شُرَّابِ الدَمِ<sup>٩٠</sup>  
غافل عن يوم نحس مستمرٌ<sup>٩١</sup>  
إنني النورُ لَطَرْفٍ مُظلمٍ  
واتركوا الحُسْرَ إلى الفعل الربِيحِ  
«نفي الذات» هو إحكام الحياه<sup>٩٢</sup>  
عائِفُ اللحمِ إلى الله قريبُ  
بصرُ الإدراك منها يُظلم

إنما القوةُ خسراً مبيئُ  
 طلبُ السلطان شرُّ مستطيرُ  
 تأمن الحبة برقاً محرقاً  
 ذرةً كُنْ لا كثيباً أفيحاً  
 قل لمن يُزهى بذبح الغنم  
 يقطع السُّبُل على هذي الحياه  
 يوطأ العشبُ فينمو صُعداً  
 أغفلنْ نفسك إمّا تعقلِ  
 أسدنْ عيناً وأذنأ وفما  
 هذه الدنيا فناءً في فناء  
 خُصَّت الجنة بالمستضعفين  
 خيرُ الفاقة من عزِّ الأميرِ  
 وترى البيدرَ منه محرقاً<sup>٩٣</sup>  
 لتنال النور من شمس الضحى  
 اذبح النفس بحقِّ تغنم  
 قوةً فيها وسلطانٌ وجاه  
 يفتح الأعين من بعد الردى<sup>٩٤</sup>  
 إنما المجنون من لم يُغفل  
 ليجوز الفكر أقطارَ السما<sup>٩٥</sup>  
 إنها وهم فما فيها رجاء

\* \* \*

كانت الأسدُ جهاداً ملَّتِ  
 عن هوى أصغت إلى النصح المُنيمِ  
 كان فرس الضأن من سُنَّتْها  
 جوهرُ الأسد أضحى خزفاً  
 ذهب العُشبُ بنابٍ ذي أشر  
 ذلك القلب عن الصدر نأى  
 فذوى في القلب شوق العملِ  
 ذهب الإقدام والعزم الأليلُ  
 بُرثن الفولاذ فيها قد وهن  
 ونما الخوف بنقص المُنَّة  
 كل داء في سقوط الهمم  
 نازعات نحو عيش الدعة  
 فدهاها الكبش بالسحر العظيم  
 فاقتدت بالضأن في شرعتها  
 حين صار القوت هذا العلفاً  
 أطفأ الأعين ترمي بالشرر  
 جوهر المرأة فيها صدياً  
 وهيامُ السعي خلف الأمل  
 والسنا والعز والمجد الأثيلُ  
 واستكان القلب في قبر البدن  
 قَطَّع الخوف جذور الهمة  
 يجعل الأحياء مثل الرَّمم

نامت الأسد بسحر الغنم

سمت العجز ارتقاء الأمم

## في بيان أن أفلاطون اليوناني الذي أثرت آراؤه في تصوف المسلمين وأدابهم كان على هذه الطريقة الغنمية وأن الاحتراز من آرائه واجب

راهبُ الماضين أفلاطُ الحكيم  
 طرفه في ظلمة المعقول ضلَّ  
 فكره في غير محسوس فُتِنَ  
 قال: في الموت بدا سرُّ الحياة  
 حُكمه في فكرنا جدُّ عظيمٌ  
 هو شاةٌ في لباس الآدمي  
 عالمُ الأشياء سمَّاه الهراء  
 فعله «تحليل أجزاء الحياه»  
 زعم الخسران ربَّحًا فكره  
 فكره يُغفي ورؤيا يخلُق  
 حرم المسكين حبَّ العملِ  
 منكرًا في الكون ما لا يُفقد  
 عالم الإمكان للحيِّ وطن  
 ظبيُّه من خفة لا يجفل  
 لم يُلألئُ عنده قطر الندى  
 حبةٌ في أرضه تأبى النماء  
 في وغي العالم نكسٌ مُحجِّمٌ  
 قلبه يَعشو لنار خامده  
 طار من عش إلى الأوج العليِّ

من فريق الضأن في الدهر القديم  
 في حزون الكون قد أعيا وكلَّ  
 صدَّ عن كفِّ وَعَيْنٍ وَأُذُنٍ<sup>٩٦</sup>  
 في خمود الشمع يزداد سنَّاه  
 يمحق الدنيا له جامٌ مُنيم  
 وهو في الصوفيِّ ذو بأس قويِّ  
 وعلت أفكاره فوق السماء  
 وجفاف النبع من ماء الحياه  
 ودعا الكونَ فناءً سحره  
 عينه تُبصر ألاً يَبْرُقُ<sup>٩٧</sup>  
 فقفا معدومه لا يأتلي  
 خالقًا في الكون ما لا يُشهد  
 عالم الأعيان للميت حَسَنُ<sup>٩٨</sup>  
 غيرُ خطَّارٍ لديه الحجلُ<sup>٩٩</sup>  
 طيره ما فيه صوت قد شدا  
 وفراشُ عنده يقلبي الضياء<sup>١٠٠</sup>  
 مُشفقٌ راهبُنا لا يُقدِّم  
 صَوْرَتُ عيناه دنيا هاجده  
 ثم لم يرجع إلى العش الخليِّ<sup>١٠١</sup>

هُلك أقوام بهذا الثَّمَلِ  
 حُرِّمُوا بالنوم ذوق العملِ

## في حقيقة الشعر، وإصلاح الآداب الإسلامية

حرقه الإنسان من كور الأمل  
إنه الخمرة في كأس الحياة  
الحياة الحق تسخير الدنى  
هي للمقصود في الدنيا سبيل  
أمل الإنسان أني يظهر  
كل خير وبهيج وجميل  
حسنة في القلب نور يسطع  
خلق الحسن نضير الأمل

نارُ هذا الطين من نور الأمل<sup>١٠٢</sup>  
وبه وقدة أنفاس الحياة  
وإلى التسخير تدعوها المني  
وهي للعشق من الحسن رسول  
كيف يشجو الحي هذا المزهر؟  
هو في بيدائنا نعم الدليل<sup>١٠٣</sup>  
تجد الآمال منه تطلع  
وأدام الحسن نور الأمل

\* \* \*

مطلع الحسن ضمير الشاعر  
زادت الحسن جمالا نظرتُه  
غرّد البلبل من تلحينه  
ناره كل فراش كاويه  
مضمّر في خلفه بحر وبر  
كم شقيق في الحشا لم يطلع  
فكره للبدر والنجم نجى  
خضر في ليله ماء الحياة  
نحن أعرار بطاء الأرجل  
لطفت في سيرنا حيلته  
يحفز الركب لفرديوس الحياة  
فمضى الركبان إثر الجرس  
وسرت في زهرنا نفحته  
نفس منه حياة تزهر  
يأدب الناس جميعا للقري

طوره صبح الجمال الباهر  
زادت الفطرة حبا صنعتُه  
ضاء خد الورد من تلوينه  
قصص العشاق منه زاهيه  
ألف كون محدث فيه استتر  
وغناء وبكى لم يسمع<sup>١٠٤</sup>  
يبدع الحسن، وفي القبح عبي  
تزهو الأكوان من ماء بكاه<sup>١٠٥</sup>  
ضل سارينا طريق المنزل  
وعلت في ركبنا نغمته  
ويتم الدور في قوس الحياة<sup>١٠٦</sup>  
وشدا الحادي بصوت مؤنس  
مذ سرت في روضنا نسمته  
حرة لؤامة لا تصبر  
ناره كالريح تسري في الورى

\* \* \*

ويل قوم لهلاك طائرُهُ  
كلُّ حُسْنٍ شاةٍ في مرآته  
تُذبلُ الأزهارَ منه القُبَلُ  
تهن الأعصاب من أفيونه  
يسلب السرورَ جميل المَيلِ  
هو حُوتٌ نصفه كالآدميِّ  
يُسكر الرَبانَ منها باللحون  
يسلب القلب ثباتًا لحنُّه  
يُلبس النفع لباس الضرر  
في بحار الفكر يُلقيك فلا  
شعره فينا يزيد الكللا  
سَيلُ برقٍ ما حوى نيسانه  
فنه بالحق لا يعترف  
نومت أحنانه يقظتنا  
بلبلُ سُمِّ قلوب نغمه  
خمره اللألاءَ اترك واحذر  
يا صريعًا خمره يغتبق  
يا برود القلب من أحنانه  
يا دليلاً للردى أفكارُهُ  
أنت للذلِّ أرحت البدنا  
من نسيم مرٍّ يدمى خَدُّكا  
أخزت العشق دُجى صيحاتُكا  
شاحبَ الوجه بدا من ضُرِّكا  
عاجزُ الهمة من ذلتكا  
أدمع الأطفال في كاساته  
أه من وغدٍ ذليل يائس  
صار كالناني هزيلاً نائحاً

صدَّ عن وِرد حياة شاعرُهُ  
في الجسوم السُمُّ من جَرَعاته  
ويَعاف الشدوُّ منها البلبُلُ  
ويموت الحيُّ من تلحينه  
ويردُّ الصقر مثل الحَجَلِ ١٠٧  
كبنات البحر تققاد الغويِّ ١٠٨  
ولقاع البحر تهوي بالسفين  
ويُري الموت حياة فَئنه  
ويُري الحسنَ قبيح الصُّور  
تشتهيه أو تطيق العملا ١٠٩  
كأسه فينا تزيد المللا  
آل لَوْنٍ وشذَى بستانه ١١٠  
بحره ما فيه إلا الصدفُ  
أطفأت أنفاسه شعلتنا  
ضِغْتُ ورد فيه يثوي أرقمه  
كأسه والطاس والدنَّ اهجر  
لك صبح من سناها مشرقُ  
قد شربت السمَّ من تبيانه  
عُطِّلت من نغم أوتاره  
أنت للإسلام عارٌ في الدُّنى  
بعروق الورد يُلوى قَدُّكا  
غَضَّ من صورته بهزادُكا ١١١  
بردت نيرانه من قُرِّكا  
وعليل الروح من علَّتكا  
كنزه ما اعتدَّ من آهاته  
هالك من رَگلات الحارس ١١٢  
شاكِي الأقدار جهلاً صائِحاً

ليس إلا الحقدُ في جوهره      ليس إلا العجزُ في مخبره  
يائسَ قلُّ حليف الخيبة      شقوةٌ في خِسةٍ في ذلة<sup>١١٣</sup>  
نوحه روحك منه في سقام      قد حمى جيرانه طيبَ المنام  
ويح عشق قد ذكا في الحرم      ناره باخت ببيت الصنم!

\* \* \*

صيرفني القول! إن تبغ النجاه      فاجعلن معياره نارَ الحياه  
نيرُ الفكر يقود العملا      مثلَ برق قادَ رعدًا جلجلا  
مَن بفكرٍ صالح في الأدب؟      أرجعنُ يا صاحِ شطر العرب<sup>١١٤</sup>  
وسليمي العُرب يا صاحِ اعشقا      لترى صبح الحجاز ائتلقا  
في رياض العجم قطفتَ الزهرُ      في ربيع الهند سرتَ البصر  
من حُرور البيد فاشرب يا رفيق      واشربن من تمرها الراح العتيق  
أسلمنُ رأسك يومًا صدرها      وألفنُ في حرّها صرصرها  
قد لبست الخرزُ طول الزمنِ      فألف الكرباس يومًا واخشنِ  
كم وطئتَ الورد في طول المدى      غاسلاً، كالورد، خدًا بالندی  
فعلى رمل الصحاري المضرم      أقدمنُ يومًا وغصّ في زمزم  
فيم هذا النوحُ مثلَ البليل؟      وإلام العُشّ بين الظلّل؟  
قد علا جدُّ الهما من صيدكا      اجعلن في الطود مثوى عشكا<sup>١١٥</sup>  
ابن عُشا حيث لا ترقى الأنوق      تختفي فيه رعود وبروق<sup>١١٦</sup>  
لترى أهلا لأعصار الحياه  
وتذيب النفس في نار الحياه



## في بيان أن التربية الذاتية ثلاث مراحل: الأولى الطاعة والثانية ضبط النفس والثالثة النيابة الإلهية

### المرحلة الأولى: الطاعة

أُلْفَةُ الكَدِّ شعَارُ الجمَلِ      شيمَة الصبر وَقَارُ الجمَلِ  
صامتَ الأَخْفَافِ يمشي ماضيًا      زورِقًا في البِيدِ يَسري هاديًا  
نقشت وجهَ الصَحَارِي أَرْجُلُهُ      شاردَ النومِ قليلاً أُكْلُهُ  
ثَمَلًا يَخْتال تحت المحمَلِ      راقصًا يُقدِّمُ شطرَ المنزَلِ  
في المَدَى من راكبيه أصبرُ      هائمٌ بالسير، عَجَبًا يَخِطرُ

\* \* \*

فاحمِلِ الفَرَضَ قويًّا لا تهابُ      وارجُونُ مَنْ عنده حسن المآبِ ١١٧  
اجهدن في طاعة يا ذا الخسارُ      فمن الجبر سيبدو الإختيارُ ١١٨  
بامثال الأمرِ يعلو من رسبِ      وهوى الطاغي ولو كان اللهبِ  
سخرَ الأفلاكَ في همَّتهِ      مَنْ ثوى في القيد من شرعتهِ  
قد سرى النجمُ يومَ المنزلا      طوعَ قانُونِ له قد ذُلًّا  
ونما العشب بقانونِ النماءِ      فإذا ما حاد يُجفَى بالعرأِ  
ولهيبُ دائمِ دينِ الشقيقِ      دمَه من ذاك يسري في العروقِ ١١٩  
يربط الذراتِ قانونُ الوصالِ      فهي بحرٌ وهي برٌّ باتصالِ  
كلُّ شيءٍ فيه قانونٌ سرى      كيف في هذي المعاني يمتري؟ ١٢٠  
ارجعن يا حرَّ دُستورِ قديمِ      زَيَّننَ رجليك بالقيدِ الوسيمِ

شدةً في شرعنا لا تشكونَ

وحدودَ المصطفى لا تعدونَ ١٢١

## المرحلة الثانية: ضبط النفس

جَمَلُ نَفْسِكَ تَرَبُّو بِالْعَلْفِ  
فَكَنَ الْحَرَّ وَقُدَّهَا بِزِمَامٍ  
كُلُّ مَنْ فِي نَفْسِهِ لَا يَحْكُمُ  
إِنَّمَا صَوَّرَتْ مِنْ طِينٍ لَزْبٌ  
خَيْفَةُ الدُّنْيَا وَخَوْفُ الْآخِرَةِ  
حُبُّ جَاهٍ وَثِرَاءٍ وَبِلْدٍ  
مِنْ مِزَاجِ الطِّينِ وَالْمَاءِ الْبِدَنِ  
مَنْ يَمَسُّكَ بَعْضًا مِنْ «لَا إِلَهَ»  
كُلُّ مَنْ بِالْحَقِّ أَحْيَا نَفْسَهُ  
لَيْسَ يَدْنُو الْخَوْفُ مِنْهُ أَبَدًا  
كُلُّ مَنْ مَوْطِنُهُ إِقْلِيمٌ «لَا»  
مُعَرِّضٌ عَمَّا سِوَى اللَّهِ الْأَحَدِ  
وَاحِدٌ مِنْ نَفْسِهِ فِي عَسْكَرِ

\* \* \*

دَرَّةُ التَّوْحِيدِ، فَاحْفَظْهَا الصَّلَاةَ  
فِي يَدِ الْمُسْلِمِ هَذَا الْخَنْجَرُ  
يَفْتِكُ الصَّوْمُ بِجُوعٍ وَصَدَى  
وَيَنْبِرُ الْحَجَّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ  
إِنَّمَا الطَّاعَةُ أَسُّ الْأُمَّةِ  
بِالزَّكَاةِ الْعَابِدُ الْمَالِ ادَّكَّرُ  
تُكْثِرُ الْمَالَ، وَشَحًّا تَمَحَقُ  
تِلْكَ أَسْبَابٌ بِهَا تَسْتَحْكِمُ

اقْوِ يَا مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ الْقَوِيَّ

تَحْكُمَنَّ فِي ذَلِكَ الْبَكْرِ الْأَبِيِّ ١٢٦

### المرحلة الثالثة: النيابة الإلهية

نافذ الأمر عليه حكماً<sup>١٢٧</sup>  
فترى المُلْك الذي يخلد لك  
حكّمه في الكون خلداً لا يبيد  
وبأمر الله في الأرض أُمير  
عزمه، هذا البساط الباليا<sup>١٢٨</sup>  
غير هذا الكون أكوان أخر<sup>١٢٩</sup>  
يُخرج الأصنام من بيت الحرم  
يقظ في الحق نومان به<sup>١٣٠</sup>  
ناشر في الكون ألوان الشباب  
وهو جُندي وراع وأُمير  
سر «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى» هوه<sup>١٣١</sup>  
حينما يمسك منه بالعنان<sup>١٣٢</sup>  
وهي في أبدانها مثل الرم<sup>١٣٣</sup>  
سطوة فيه نجاه العالم  
قيم الأعمال منه في بدل<sup>١٣٤</sup>  
كم كليم هام في سينائه!  
عبر الرؤيا بتعبير جديد  
نغمة يضمن زممار الحياة  
ليقيم الوزن إذ أبدعه  
فبدا الفارس من هذا الهباء<sup>١٣٥</sup>

إن خَطَمَت الصعَبَ قَدَتَ العالِما  
مشرقاً في الأرض ما دار الفلك  
نائب الحق على الأرض سعيد  
هو بالجزء وبالكل خبير  
في فسيح الأرض يمضي طاويا  
ينجلي من فكره مثل الزهر  
يُنضج الفكرة فينا بالضرَم  
رنّ عود القلب من مضرابه  
باعث في الشيب ألحان الشباب  
هو في الناس بشير ونذير  
مقصد من «علم الأسماء» هوه  
مُحَضَّر من تحته طرف الزمان  
يبعث الأرواح منه قول «قم»  
ذاته تتبع ذات العالم  
يبعث الميت بإعجاز العمل  
سيره يخضر في بيدائه  
جدد الدنيا بتفسير جديد  
كونه المكنون أسرار الحياة  
شاعر الفطرة عنى طبعه  
نقعنا ثار إلى أوج السماء

\* \* \*

شعلة يرمي بها الكون الغد  
ضاء من صبح غد أبصارنا<sup>١٣٦</sup>  
أنت يا نوراً لعين الممكن  
وتمكن في سواد الأعين  
واملاً الأذان زهر النغم

في رماد اليوم منّا ترقد  
روضة تُضمّرها أكمامنا  
أنت يا فارس طرف الزمن!  
موكب الإنشاء هيّا زين  
قم فسكن من ضجيج الأمم

جَدَّدَن فِي النَّاسِ قَانُونَ الْإِحَاءِ      وَأَدْرَهَا كَأَسَّ حَبٌّ وَصَفَاءِ  
 أَبْلَغَ النَّاسِ رَسَالَاتِ السَّلَامِ      وَأَعَدُّ فِي الْأَرْضِ أَيَّامَ الْوِثَامِ  
 مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ أَنْتَ الْأَمَلُ      أَنْتَ مِنْ رَكْبِ الْحَيَاةِ الْمَنْزَلُ  
 أَذْبَلْتَ كَفُّ الْخَرِيفِ الشَّجْرَا      فَاغْدُ فِي الرُّوضِ رَبِيعًا نَضْرًا  
 نَحْنُ مِنْ فَيْضِكَ نَسْمُو لِلْقَلْبِ  
 فِي جِهَادِ الْكُونِ نَمْضِي كَالشَّعْلِ ١٣٧

١٣٨...

يا أبا الوردة كن صنوَ الحجرِ  
 آدميًّا صوِّرن من تُربِكَ  
 أنت إن كنت ترابًا هيَّنا  
 أيها الصارخ من جورِ الدهرِ  
 فيم هذا النوح؟ ماذا المأتمُّ؟  
 مضمَّر في السعي مضمونُ الحياةِ  
 قم فشيِّد عالمًا دون مثيل  
 إنما السيرُ على حُكم الزمانِ  
 إنما الحر الشجاع الفِطْنُ  
 وإذا الدنيا عتت عن أمره  
 يهدم الموجودَ فيما آثرًا  
 يصرفُ الأيامَ عن كراتها  
 خالقًا من قوَّة في قلبه  
 فإذا أعوز عيشُ الرُّجُلِ  
 حبذا عشقُ بغيِ الأمرِ الجليلِ  
 تتجلى في مِراسِ المُعضلِ  
 عُدَّة الأُنْذالِ حقدٌ لا سواه  
 الحياةُ الحقُّ بَأْسٌ يظهرُ  
 وكن السورَ لبستانِ الزهرِ ١٣٩  
 ثم شيِّد عالمًا بدعًا لكا  
 فليصُغ غيرك منك اللبنا  
 يا زُجاجًا يشتكي جورَ الحجرِ  
 وإلام الصدرِ حزنًا تَلِيمِ؟  
 لذة التخليقِ قانونُ الحياةِ  
 وخُض النارَ وأقدم كالخليلِ  
 هو رَمِي التُّرسِ في وقتِ الطَّعانِ  
 مَنْ قفا الأثارَ منه الزمنُ  
 حارب الدهرَ، ولم يعبأ به  
 يمنح الذرَّاتِ شكلاً آخرًا ١٤٠  
 يمنح الأفلاكِ من دوراتها ١٤١  
 ذلك العصرَ الذي يرضى به  
 فالحياةُ الموتُ موتَ البطلِ  
 وجنى في النارِ وردًا كالخليلِ  
 قوَّة كامنةٌ في البطلِ  
 استمع يا صاح، ذا شرع الحياةِ  
 حُبُّ الإِستيلاءِ فيه مضمَّرُ

ربَّ عفوٍ كان من آفاتِها  
يَحسَبُ العَجَزَ قُنُوعًا خانِعُ  
قاطِعُ سُبُلِ الحِياةِ الخَوْرُ  
قلبه من كل خير فارغُ  
في كمين راصدٌ هذا اللئيمُ  
احذرن يا صاح من تزيينه  
إنه يَخفي على أهل النظر  
في ثياب اللين حينًا يظهرُ  
وهو طَوْرًا في ثياب المُجَبِّرِ  
وهو حينًا في لباس الترف  
ما سوى القوَّةِ للصدق دَعَمُ  
هي من حقل الحِياةِ الحاصل  
مدَّعاه في غنى عن حجة  
تجعل الباطل حقًّا ماثلاً  
سطوة القوَّةِ تُحلي ما أمرُ  
أيها الغافل عمًّا حُملاً  
افتحن عينًا وأُذُنًا وفما  
تُبصر الحقَّ طريقًا مُعلَمًا

### قصة فتى من مرو جاء إلى السيد المعظم علي الهجويري شاكيا بغي أعدائه<sup>١٤٥</sup>

مُجْتَبَى هُجوِيرٍ مقصودُ الأُمَمِ  
قطع الأطواد واجتاز السدود  
زمن الفاروق منه يُشرقُ  
حارسُ العزة من أمِّ الكتاب  
حيث البنجابُ من أنفاسه  
من رأى الجِشْتِيّ مثواه الحرم<sup>١٤٦</sup>  
بأذْرًا في أرضنا بذر السجود  
وبه للحق يعلو مَنطق  
مَعْقِلُ الباطل منه في تَباب  
صُبْحُنَا نور من نبراسه

ذا رسولُ العشقِ، وهو العاشقُ فيه سرُّ العشقِ بادِ بارقُ

\* \* \*

طاوياً في الكَمِّ روضَ الزهَرِ  
 قدُّه كالسروِ عالٍ قد عتا  
 كاشفاً من نوره عنه الضبابُ  
 كزجاجِ بصخورِ يُصدَمُ  
 كيف عيشي بين أعداءِ كثيرِ  
 قد تجلَّى في إطارِ من جلالِ  
 لا يَميزُ الخَيْرَ من شرِّ الحياهِ  
 أنت بأسِ نائمٍ، قم لا تنمُ  
 فهو في الحقِّ، زجاجٌ يُكسرُ  
 قطع السُّبُلِ عليه الفاجرُ  
 شعلَةَ الطورِ من الطينِ أثُرُ  
 فيم شكواك العدوِ الخادعا  
 أنت بالأعداءِ ذو غُصنِ وريقِ  
 مَنْ مَقامَ «الذاتِ» حقًّا يفهمُ  
 مثلُ ما تحيي المواتِ الراحدة<sup>١٤٧</sup>  
 لا يبالي السيلُ صخرًا إن جرى  
 امتحانُ العزمِ بَعْدَ المنزلِ<sup>١٤٨</sup>  
 ما غناءُ العيشِ مثلَ النعمِ؟  
 إن حَبَّتْكَ الذاتِ عزماً مسعراً  
 واعمُرَنَّ الذاتِ إن شئتَ البقاءُ  
 أتراه بعد روحِ وبدنِ؟<sup>١٤٩</sup>  
 ومن السجنِ إلى المُلكِ استقمِ<sup>١٥٠</sup>  
 ناصراً للحقِّ، سرًّا حاملاً  
 أفتحِ الكَمِّ بحرَّ النفسِ<sup>١٥١</sup>

قصة أسردها في أسطرِ  
 قد أتى لاهورَ من مروَ فتى  
 جاء عند السيدِ العالِيِ الجنابِ  
 قال: إنني في عُدَاةٍ لؤموا  
 علمني أيها الشيخِ الكبيرِ  
 فأجاب الشيخِ، مَنْ فيه الجمالِ  
 أيها الغافلُ عن سرِّ الحياهِ  
 حرَّرنِ نفسَكَ من يأسِ وغمِّ  
 إن رأى النفسَ زجاجًا حَجْرُ  
 وإذا خارت قواه السائرِ  
 كم ترى نفسكَ طينًا قد حُقرِ  
 فيم شكواك الرفيقِ النافعا  
 كم عدوٌّ لك، في الحقِ صديقُ  
 قوَّةُ الأعداءِ فضلًا يَعْلَمُ  
 يوقظُ الخصمُ قواك الهاجدهُ  
 قوَّةُ العزمِ تذيبُ الحجرِ  
 تشحذُ العزمَ عِقَابُ السُّبُلِ  
 ما حياةٌ دون عزمِ مُحَكِّمِ؟  
 زلزل العالمَ وافعل ما ترى  
 اهجرَنَّ الذاتِ إن تبغِ الفناءُ  
 ما الردى؟ أن يدركَ الذاتِ الوَسْنَ  
 يا أخا يوسفِ في الذاتِ أقمِ  
 أحكمنَّ الذاتِ وانهضِ عاملاً  
 هاك سرًّا في حديثِ مؤنسِ

حبذا سرُّ حبيبِ يُضمُرُ

في حديثِ عن سواه يؤثر<sup>١٥٢</sup>

## قصة الطائر الذي أجهده العطش

طائرٌ من ظمأً قد جهدا  
قد رأى ألماسةً مثلَ الندى  
خدعته شذرةٌ مثلُ الشرر  
لم يجد رِيًّا بضربِ المنقر  
قالت الشذرة: جُنِّبَتِ الهدى  
لستُ ماءً، لا تراني ساقيه  
جاهلٌ يقصد هضمي ما اهتدى  
كل منقارٍ بمائي ينكسرُ  
ما رأى الطائرُ فيها أربا  
حسرة في صدره تتقد

\* \* \*

وأضاءت مثلُ دمع البلبلِ  
لضياء الشمس فيها منة  
كوكبٌ يرعد من نسل السماء  
غرّه الأكامم والزهر الخصبُ  
قطرةٌ من دمع صب تبهر  
فمضى الطائر فيها راغبًا  
أيها الباغي عدوًّا تقهر!  
حينما الطائر أضناه صداه  
كانت الشذرة عضبًا يُرهب  
قوة الذات احفظنها أبدًا  
أنضج القطرة كالطود تُرى  
أثبتت الذات وفيها حَقَّق

ومن الذات أبين أسرارها  
حرّكن عن لحنها أوتارها

## قصة الألماس والفحم

قصةٌ أخرى بها أدلي إليك  
قال للألماس فحمُ المعدن:  
نحن صنوان نمانا والدُّ  
وعلى التيجان أنت الزينةُ  
لك حسنٌ في المرايا يسطعُ  
من ظلامي قد أضاء المجرمُ  
مَوطئُ الأقدام بين البشرِ  
إن حالي ببكاء لَحَرى  
إنني موج دُخان يُعقدُ  
ومن الأنجم فيكي الرونقُ  
تارة نور بعيني قيصرًا  
يفتح الحُقُّ بها بابًا عليك:  
يا حليفَ النور طول الزمن!  
أصلنا في الكون أصلٌ واحدُ  
وأنا في التُّرب حظي الذلَّةُ  
وأنا من كفِّ ترَبٍ أضيِّعُ  
ورمادًا آضٍ فيَّ الجوهر  
قد رموا في مهجتي بالشررِ  
هل ترى أصلي وفصلي هل ترى؟  
كلُّ ما فيَّ شرارٌ يصعدُ  
كل جنب فيك نور يشرق  
تارة فصُّ يزين الخنجرا

\* \* \*

قال: فاسمع يا رفيقي وافهما  
شنٌّ فيما حوله حربًا ومرَّ  
هيكلي من نضجه قد نورًا  
أنت من ضعفِ كيان تنفَّق  
اهجرنُ خوفًا وغمًّا لا تهنَّ  
من أجاد السعي والأخذ معًا  
وبجُبرِ الكعبة انظر حجرا  
جاوزَ الطورَ علاءَ لا جرم  
ينضج التُّربُ فيغدو خاتما  
وغدا بالحرب صلبًا كالحجر  
وبصدري كم شعاع أسفرا  
وبلين في قَوام تُحرق  
وانضجَنُ كالصخر والألماس كُن  
فهو في الدارين بدر طلعا  
كان من قبلُ ترابًا حُقرًا  
ورجت تقبيله كلُّ الأممُ

قوةُ الأحياء عزُّ ونجاهُ

والوئى والذلُّ من ضعف الحياهُ



## قصة الشيخ والبرهمي ومحاورة نهر الجنج وجبل هماليا في معنى دوام حياة الأمة بالتمسك بسنتها

غائض في فكر كون وعدم<sup>١٥٧</sup>  
ومن الحكمة وافٍ كِفْلُهُ  
ذهنه ماضٍ يحُلُّ المشكلا  
شعلةٌ منها السماك احترقا  
قد حماه الرّاح ساقى الحكمة  
طائر المعنى به ما أدركا  
عُقِدَ الأكوان فيه دون حلّ  
وحكت حيرته نظراته  
رَبِّ صدر بفؤادٍ أهـل  
تحسن الصمت، وأذن واعيه  
اهبطن الأرض وارِعَ الذمما  
فكرُك المقدام في أوج العُلا  
لا تطر تطلب سرَّ الأنجم  
كافرٌ أنت فخذ زُناركا  
لا تدع نهج الجدود الأقدمين  
وكذاك الكفر فيه وحدة  
ليس أهلاً لفؤاد صدركا  
وَبَعْدْتُمْ أَنْتُمْ عن آزر<sup>١٥٨</sup>  
في جنون العشق لِمَا يكْمَل  
كيف يُجدينا طواف في السماء

برهميٌّ في بناريس علم  
برجال الله يحفَى فعلُهُ  
عقله فوق الثريا قد علا  
فكره العنقاء إمّا حلّقا  
كأسه دهرًا خلت من خمرة  
في رياض العلم ألمى شبكا  
فكره أدمى ولكن لم تنزل  
أعربت عن يأسه آهاته  
سار يوماً نحو شيخ كامل  
لقي الشيخ بنفس راجيه  
فأهاب الشيخ: يا خدن السما  
ضقت في الأرض مجالا فعلا  
طاوي الأفلاك! في الأرض قم  
لا أقول اهجر غداً أصنامكا  
يا أمينا لتراث الأولين!  
باجتماع الشمل تحيا الأمة  
لم يكمل فيك حتى كفركا  
إن إبراهيم فينا هُجرا  
قيسنا ما هام خلف المحمل  
إن شمع الذات فينا لانطفاء

\* \* \*

في سفوح من همالا قائلًا  
عاقداً من أنهر زُناره!<sup>١٥٩</sup>  
وحمي رجلك سيرًا في العراء  
هيبةً فيك ورأس قد سما؟

جاش نهر الجنج يوماً جائلا  
حاملًا من برِدٍ أوقاره!  
صاغك الحق نجياً للسماء  
قُيِّدت رجلك عن سير فما

إنما العيش مَسِيرٌ وُصِّلَا  
 غَضِبَ الطودُ لِقَوْلِ النَّهْرِ  
 قال: يا مرآة وجهي! ويلكا  
 إن هذا السير فيه الحَيْنُ لكَ  
 بمَقَامِ لِكَ هَلَّا تَأْبَهُ!  
 يا وليد الفلك المرتفع!  
 قد وهبت النفس بحرًا غاصبًا  
 كن كورد في رُباه عاكف  
 إنما العيشُ نماءً في المكان  
 في دهور لم تُزحزح أرجلي  
 وإلى الأفلاك قَدِّي يصعد  
 أنت تَفْنَى في خِضَمِ خُضْرِمِ  
 وبعيني لاح سرُّ الفلكِ  
 وبنار الجِدِّ طولَ الدهرِ  
 صَخَّرْ قلبي وناري في الصخرِ  
 قطرةً إن كنت فاحفظ نفسكَا  
 وابتغِ النورَ وكن درًّا يُضِيءُ  
 أو فزد واعلُّ سحابًا ممطرًا  
 يبسط البحرُ لجداوك يدا

فهو في فيضك دون الموجة  
 وهو في جدواك بادي الدَّلَّة

في بيان أن حياة المسلم لإعلاء كلمة الله وإن كان الباعث على الجهاد  
 «جوع الأرض» فهو حرام في شريعة الإسلام

صبغة الله أنز في قلبكا  
 وإنما المسلم بالحب قهر  
 والهوى والصيت دع في حبكا  
 مُسلمٌ لا حب فيه قد كفر

وله في الحق نومٌ وسَهَرٌ  
كيف يرضى الناس هذا الادعاء؟<sup>١٦٣</sup>  
وعلى الناس جميعاً شهدا  
شاهدٌ أصدقُ كلِّ الشاهدين  
وأضئُ بالحق ليلَ العملِ  
ذاكراً لله يقظانَ الضميرِ  
يسطَعَنُ فيك من الحق جلال  
شرُّ السُّلْمِ إذا رُمْتَ سواه  
اكتسى في الحرب عازراً صفنا

غَضُّ بالحق، وبالحق نظَّر  
في رضاه لرضا الحق فناء  
في رُبى التوحيد أرسى العَمَدَا  
وعليه يشهد الداعي الأمين  
فدع القال إلى الحال الجلي  
وكن الدرويش في زِيِّ الأُمَيْرِ  
واقصِدَنَّ الحقَّ في كلِّ الفِعالِ  
خيرُ الحربِ إذا رُمْتَ الإله  
نحن إن لم يُعِلِّ حقاً سيفنا

\* \* \*

من سناه كلُّ سرٍّ ينجلي<sup>١٦٤</sup>  
مِزْهَرَ العشق بحقٍّ عَزُفَا  
مشعلُ النور على بلداننا  
كان مَلِكُ الهند من طُلَّابِه  
طالباً في حرصه فتح البلادِ  
مُقرئاً «هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» عَضِبَه<sup>١٦٥</sup>  
وتوالى الفتح في أرض الدكن  
يُحكَمُ التديبِ منه بالدعاء  
راجياً منه دعاءَ الظفرِ  
وصغى كلُّ مريدٍ سالِكِ  
أمسكت إحدى يديه درهما  
أنت للمسكين بالحق نصيرُ  
قبل أن تمسك كفي الدرهما  
سائلٌ في حلة المُلِكِ بدا<sup>١٦٦</sup>  
وعلى الشمس تولَّى والقمر  
عينه فوق سماط الأخرين  
نفسه يَبْنِي وَيُرِدِي عالماً

شيخنا الشيخ «ميا نمير» الولي  
كان ثَبْتًا في طريق المصطفى  
قبره الإيمان في أوطاننا  
سجدَ النجم على أعتابه  
غرس المَلِكُ هواه في الفؤادِ  
بالهوى أضرَمَ ناراً قلبه  
دَوَّخت أجناده كلَّ وطنِ  
ديدن المسلم للحق التجاء  
قصدَ الشيخِ العليِّ القَدَرِ  
صمتَ الشيخ لقول المالكِ  
قطع الصمتَ مريدَ أقدمَا  
قال: مولاي! اقبل النذرَ الحقيزُ  
عزقي من كل عضو قد همى  
قال: سلطاني به أولى يدا  
مَلِكُنَا أفقر من كل البشرِ  
جوَّعُه بالنار يُصَلِّي العالمين  
سيفه بالقحط والموت رمى

ضجت الأقوام من فقرٍ لديهِ      شقى المسكينُ من جوعٍ يديه  
 حكمه في الناس شرٌّ وأشرُ      قطع الطُّرُقَ على ركبِ البشرِ  
 بخداع النفس والجهل دعا      نهبِيه فتحًا، وبئس المدعى  
 عسكرُ الملك وما قد أسروا      بسيوف الجوع منه شذُرُ  
 غصَّةُ السائل جوعُ السائل      وخراب المُلك جوعُ الدائل<sup>١٦٧</sup>  
 من لغير الله سلَّ المُغمدا  
 سيفه في صدره قد أغمدا

### نصيحة مبرنجة النقشبندي المعروف باباي صحرائي «الأب الصحراوي» التي كتبها لمسلمي الهند

أنت كالورد من الأرض بدا      لا تعدّ الذات واخلد أبدا  
 إنما الربح بهذي الثروة      أنت موجود وفي خوف العدم  
 عندِي الخبزُ بأوتار الحياة      غوصة في النفس غوص الدرة  
 هي جمعٌ من رماذٍ شررا      هي حول الذات طوفٌ فاعلم  
 حلّقن في اللوح عن جذب التراب      أنت إن لم تك طيرًا ويحكا  
 أيها الجاهد في كسب العلوم      إنما العلم لدى الجسم شقاء  
 قصة الرومي تقضي بالعجب:      وعلى رجليه للعقل قيود  
 هو موسى دون طور يُشرق      وعن الإشراق والشك حكي  
 من ضمير الذات نلت المولدا      قطرة كُن واشرب البحر صدى<sup>١٦٨</sup>  
 والغنى في حفظ هذي السلعة      يا أسير الوهم أخطأت الفهم  
 سأنبئك بأسرار الحياة      وظهورٌ بعد هذي الخلوة  
 واشتعالٌ بعدُ يُعشي البصرا      واجعلن نفسك بيتَ الحرَم  
 من هويٍّ لا تخف، مثل العقاب      فعن الغار فأبعد عُشكا<sup>١٦٩</sup>  
 عن إمام الروم خذ نصح الحكيم      وهو في القلب دواء وشفاء<sup>١٧٠</sup>  
 كان فيضًا من علوم في حلب      في ظلام العقل بالفلك يرود  
 ما درى ما العشق أو من يعشُق      ومن الحكمة درًا سلكا<sup>١٧١</sup>

وعن المَشَاء<sup>١٧٢</sup> حلَّ العقدا  
وحوالِيه صِوانُ الكتبِ  
كلُّ خاف من سناه قد بدا  
وعلى فيه بيانُ الكتبِ

\* \* \*

أمَّ يومًا مكتبَ المُلا جلالُ  
قال: ماذا القال والقيْلُ وما  
صرخ الرومي: مهلاً يا جهول  
اخرُجْ من مكتبي يا أبله  
قالنا أرفعُ مما تعقل  
نار شمس الدين زادت حُرِّقا  
فاستطار البرقُ من نظرتِه  
فإذا الإدراك من نار القلوب  
جهل الرومي عشقًا أُضرمًا  
قال: هذي النار ما قصتها؟  
قال شمس الدين يا ذا المسلم!  
حالنا أرفعُ مما تُفكرُ  
شيخُ تبريز بأمر من كمال<sup>١٧٣</sup>  
من قياس ودليل أوهما  
لا تهوّن من مقالات العقول  
قالنا والقيْلُ أنى تفقه؟  
سُرُج الإدراك منه تُشعلُ  
فرمى من روحه ما أحرقا  
وتلظى التُّربُ من شعلته  
محرَّقُ والكتبُ منها في لهيبُ  
ما درت أوتاره ذا النغما  
أحرقت أسفارنا وقدها  
نوقنا والحال أنى تعلم؟  
ولظانا الكيمياءُ الأحمر<sup>١٧٤</sup>

\* \* \*

تجمع الحكمة زادًا بردًا  
من هشيم فيك أذكِ اللهبًا  
من لهيب القلبِ علمُ الكامل  
صدَّ إبراهيم عما يأفلُ  
قد نبذت الدين ظهريًا وما  
أيها الساعي لكُحل المقل  
من فم التنين فابغ الكوثرًا  
حجر الكعبة من بيت الوثن  
طفئ العشق بعلم الحاضر  
قد براني السعي في كل بعيد  
وحباني سرَّ هذي الجنة  
فسحاب الفكر يهمني بردًا<sup>١٧٥</sup>  
من تراب فيك أطلع شُهبا  
مقصدُ الإسلام ترك الآفل<sup>١٧٦</sup>  
فحوته كالجنان الشعل<sup>١٧٧</sup>  
تبتغي بالدين إلا الدرهما  
غافلا عمًا به من كحل<sup>١٧٨</sup>  
واسألن ماء الحياة الخنجرا<sup>١٧٩</sup>  
التمس والمسك في الكلب اطلبن  
لا تؤمّل كأس هذا الكافر  
وعرفت السرَّ في العلم الجديد  
قيّم البستان بعد الخبرة

علمُ ذا العصر حجابٌ أكبرُ  
من حدود الحسِّ لا ينطلقُ  
زلقت رجلاه في سُبُل الحياة  
كشقيق فيه نار هامده  
من لهيب العشق تخلو فطرتَه  
عللُ العقل لها العشقُ دواء  
سجد العالمُ للعشق الجليل  
جامه من نشوة الراح خلا

يعبد الوثنَ وفيها يتجر  
وله الظاهرُ سجنٌ مغلقُ  
وضعت في حلقه السيفَ يداهُ  
شعلة كالطل فيه بارده<sup>١٨٠</sup>  
في طلابِ الحق تبدو خيبته  
مبضعُ العشق لدى العقلِ شفاءُ  
هو محمودٌ لأصنام العقول<sup>١٨١</sup>  
ليله عن وجدٍ «يا رب» سلا<sup>١٨٢</sup>

\* \* \*

سروك الباسقُ قد أغفلته  
أنت كالنابي خليٌّ من جواكُ  
تبتغي نفسك في سوق سواكُ  
من سراج الناس نادينا استعر  
ظبينا خاف سواد الكعبة  
ورق الوردة كالعرف انتشر  
يا أمين السرِّ من أم الكتاب  
نحن حُرَّاس حصون الأمة  
أكؤس الساقى أراها كسرا  
تعمُر الكعبة من أصنامنا  
شيخنا باع الدُمى ملته  
شيخ الشيخ بياض الشعر  
قلبه بيتٌ لأصنام هواه  
يلبس الخرقة من يرخي الشعر  
بمريديه أدام السفرا  
أعين عمي حكاها النرجسُ  
عبد الأشياء فينا المنصبُ  
واعظ عيناه شطرَ الوثنِ

كلُّ سرو غيره أكبرته<sup>١٨٣</sup>  
بلحون الناس أعليت صدكُ  
وسماط الناس تجدوه يدكُ  
أحرق المسجد من دير شرر  
فرماه صائد في الثغرة<sup>١٨٤</sup>  
جافلاً من نفسه! عد للمقر<sup>١٨٥</sup>  
هل إلى وحدة ماضينا إياب؟  
كُفرنا تركُ شعار الملة  
حفل ندمان الحجاز انتشرا  
يضحك الكفر على إسلامنا<sup>١٨٦</sup>  
جاعلا زُناره سُبحته<sup>١٨٧</sup>  
وهو للأطفال مثل السُخر<sup>١٨٨</sup>  
فهو صفرٌ مقفر من «لا إله»<sup>١٨٩</sup>  
أه! للتاجر بالدين اتجر  
في هدى أمته ما فگرا  
وصدورٌ من قلوب تفلِس  
حُرمة الأمة منهم تذهب  
وفتاوى تُشتري بالثمنِ

وجهه للحن ولى شيخنا  
يا رفاقي بعد ما تدبيرنا<sup>١٩٠</sup>

### الوقت سيف<sup>١٩١</sup>

نَضَّرَ اللهُ ترابَ الشافعيِّ      سحر الألباب هذا الألمعيِّ  
فكره قد صاد نجمًا لامعًا      حين سمى الوقت سيفًا قاطعًا  
فات خوفًا ورجاءً صاحبه      كفه كفُّ كلِّيم، ضاربُه  
تُغدق الصخرة من ضربته      ويغيض البحر من صَوْلته  
كان هذا السيفُ في كفِّ الكليم      فشأى التدبيرَ بالعزم الصميم  
شق صدر البحر لمع القبس      صيرَّ القلزم مثل اليبس  
وبهذا السيف يومَ الخطر      زلزلت خيبرَ كفُّ الحيدر<sup>١٩٢</sup>

\* \* \*

ممکن إبصارُ دورِ الفلك      وتوالي نوره والحلك  
يا أُسيرَ اليوم والأمس انظرا<sup>١٩٣</sup>      انظرن في القلب كونا سترا  
أنت في النفس بذرت الباطلا      وحسبت الوقت خطأ طائلا  
وذرعت الوقت طولًا، للشقاء      بذراع من صباح ومساءً  
وجعلت الخيط زُنَّارًا لكا      صرت للأصنام نداءً ويلكا  
صرت يا إكسيرُ تريبًا سافلا      يا وليد الحق صرت الباطلا  
اقطع الزنار حرا لا تهن      شمعةً في محفل الأحرار كن  
إيه يا غافلُ عن أصل الزمان      كيف تدري ما خلود الحيوان<sup>١٩٤</sup>  
يا أسير الصبح والمسي اعقلن      «لي مع الله» بها الوقت اعرفن<sup>١٩٥</sup>  
كل ما يظهر، من تسياره      والحياة السرُّ من أسراره<sup>١٩٦</sup>  
ما من الشمس أراه يوجد      إنها تفنى وهذا يخلد  
وبه الشمس أضاعت والقمر      وبه في العيش ما ساء وسرَّ  
قد بسطت الوقت بسطًا كالمكان      وفرقت اليوم من أمس الزمان  
يا شذى قد فرَّ من بستانه      وحبس السجن من بنيانه<sup>١٩٧</sup>

وقتنا بين الحنايا سافرُ      ليس فيه أول أو آخر  
الحياة الدهر يا من عرفا      «لا تسبوا الدهر» قول المصطفى

\* \* \*

نكتة كالدُر خذها رائقة      بين حرٌّ ورقيقٍ فارقه  
حيرةُ العبدِ مسيرُ الزمنِ      حيرةُ الأزمانِ قلبُ المؤمنِ  
ينسجُ العبدُ عليه كفنًا      من صباحٍ ومساءً مُدعنا  
وترى الحرَّ من الطينِ نجا      نفسه حولِ الليالي نسجا  
قفصُ العبدِ صباحٌ ومساءً      يُحرمُ التحليقَ في جوِّ السماءِ  
وبصدرِ الحرِّ ثارِ النفسِ      طائرِ الأيامِ فيه يُحبَسُ  
فطرةُ العبدِ حصولُ الحاصلِ      ليس في تفكيره من طائلِ  
في مقامِ من همودٍ راكدُ      نوحه ليلًا وصباحًا واحدُ  
ومن الحرِّ جديدِ الخلقة      كلَّ حينٍ، وحديثُ النغمةِ  
قيّدَ العبدَ صباحٌ ومساءً      وثوى في فمه لفظُ القضاء<sup>١٩٨</sup>  
وأرى الحرَّ مُشيرًا للقَدَرِ      صوّرتُ كَفَاهُ أحداثِ الدهرِ<sup>١٩٩</sup>  
عنده الماضي التقى والقابلِ      عاجل بين يديه الآجلِ<sup>٢٠٠</sup>

\* \* \*

ضاقَ عن معنَيِ حرفٍ وصدى      عجزَ الإدراكِ في هذا المدى  
قلت، واللفظُ من المعنى خجلُ      وشكا المعنى من اللفظِ المجلُ  
مات معنى في حروفٍ يُحبَسُ      نارَه يُخمدُ منك النفسُ  
سرٌّ غيبٍ وحضورٍ في القلوبِ      رمزَ وقتٍ ومرورٍ في القلوبِ<sup>٢٠١</sup>  
إنَّ للوقتِ للحنًا صامتًا      وله في القلبِ سرًّا خافتًا<sup>٢٠٢</sup>  
أين أيامُ بها سيفُ الدهرِ      صرُفته في أيادينا القَدَرِ!<sup>٢٠٣</sup>  
قد غرسنا الدين في أرضِ القلوبِ      وجلونا الحقَ من سترِ الغيوبِ  
ومن الدنيا حللنا العُقدا      واستنارَ التُّربُ منَّا سُجدا  
من دنانِ الحقِ صرُفنا الرحيقِ      وهدمنا حانةِ العصرِ العتيقِ  
يا مديرِ الراحِ في أضوائها      ومُذيبِ الكأسِ من لآئها<sup>٢٠٤</sup>  
من غرورٍ واختيالٍ تَسُكِر      ومن الفقرِ لدينا تسخر!



كأسنا كانت سراج المحفل  
 إن هذا العصر من آثارنا  
 روضة الحق ارتوت من دمننا  
 كبر العالم من تكبيرنا  
 اقرأ الحق لنا قد علما  
 لا تهون قدر حرر أعدما  
 إن نكن عندك أصحاب الخسار  
 فلدينا عزة من «لا إله»  
 قد تركنا غم أمس وغد  
 نحن وراث هداية للبشر  
 لا تزال الشمس تبدي نورنا  
 ذاتنا المرأة للحق، اعلم  
 آية الحق وجود المسلم

## دعاء

أنت في الكون كروح مُستسر  
 منك فيه نعمة عود الحياة  
 عد فسكن ذي القلوب البائسة  
 عد فكلفنا الفعال الماجدا  
 إننا نشكو تصاريق القضاء  
 عن فقير لا تحبب ذا الجمال  
 عين سهد لفؤاد قلق  
 آية أظهر من الآي المبين  
 أظهر البركان من أعوادنا  
 كفنا ألقط بخيط الوحدة  
 قد مضينا كنجوم حائره  
 روحنا أنت، ومنا تستتر<sup>٢٠٦</sup>  
 في هوك، الموت محسود الحياة  
 عد فعمّر ذي الصدور اليائسة  
 ألهبنّ العشق فينا الخامدا  
 أنت تغلي السعير والأيدي خلاء<sup>٢٠٧</sup>  
 عشق سلمان امنحنا وبلال  
 امنحنا واضطراب الزئبق  
 لنرى أعناق قوم خاضعين<sup>٢٠٨</sup>  
 وامح غير الله في نيراننا  
 كم ترى في أمرنا من عقدة؟<sup>٢٠٩</sup>  
 إخوة لكن وجوه نافره

انظَمَنْ فِي السِّلْكِ هَذَا الْوَرَقَا      جَدَدَنْ سَنَّةً حُبًّا أَخْلَقَا<sup>٢١٠</sup>  
 ابْعَثْنَا مِثْلَ مَا كُنَّا لَكَ      ائْتَمِنْ فِيمَا تَرَى أَحْبَابَكَ  
 مَنزَلَ التَّسْلِيمِ أَبْلَغَ رَكْبَنَا      عَزَمَ إِبْرَاهِيمَ يَسْرَهُ لَنَا  
 عَلَّمَنَّ الْعَشْقَ مِنْ أَفْعَالِ «لَا»      رَمَزَ إِلَّا اللَّهُ عِلْمَ غَافِلَا<sup>٢١١</sup>

\* \* \*

أَنَا كَالشَّمْعِ لِغَيْرِي أُحْرِقُ      وَبِدْمَعِي كُلُّ حَفْلٍ يَشْرِقُ  
 رَبِّ! هَذَا الدَّمْعُ نَوْرٌ فِي الْقُلُوبِ      ذُو هَيَاجٍ وَاضْطِرَابٍ وَنَحِيبِ  
 أَبْذُرُ الدَّمْعِ فَتَنَّمُو شُعْلُ      نَارِ شِفْرِ الرُّوضِ مِنْهَا تَنْصِلُ<sup>٢١٢</sup>  
 أَمْسِ فِي قَلْبِي، وَعَيْنَايَ الْغَدِ      أَنَا فِي الْجَمْعِ فَرِيدٌ مُوَحَّدُ<sup>٢١٣</sup>  
 ظَنْ كُلِّ أَنَّنِي نَعَمَ السَّمِيرِ      لَيْسَ يَدْرِي أَيُّ سَرٍّ فِي الضَّمِيرِ<sup>٢١٤</sup>  
 أَيْنَ يَا رَبِّاهُ فِي الدُّنْيَا النَّدِيمِ      نَخْلُ سَيْنَاءَ أَنَا، أَيْنَ الْكَلِيمِ؟  
 ظَالِمٌ نَفْسِي فَكَمْ عَنَيْتُهَا      شِعْلًا فِي صَدْرِهَا أَذْكَيْتُهَا  
 شِعْلًا لِلْحَسِّ تَذَرُو مَا بِهِ      وَتَشَبُّ النَّارِ فِي أَثْوَابِهِ<sup>٢١٥</sup>  
 وَبِهَا الْعَقْلُ جَنُونًا عُلْمًا      وَبِهَا أُحْرِقُ مَا قَدْ عُلِمَا<sup>٢١٦</sup>  
 قَدْ عَلَتْ مِنْ حَرِّهَا شَمْسُ السَّمَاءِ      حَوْلَهَا لِلْبَرْقِ طُوفٌ فِي الْفَضَاءِ  
 كُلُّ عِرْقٍ فِي نَارًا يَقْطُرُ      شُعْلًا يَنْبُتُ فِي الشَّعْرِ  
 بَلْبَلِي يَلْقَطُ هَذَا الشَّرْرَا      فَتَرَاهُ نَعْمًا مُسْتَعْرَا  
 صَدْرُ عَصْرِي مَا بِقَلْبٍ يُوْهَلُ      نَوْحِ قَيْسٍ حِينَ يَخْلُو الْمَحْمَلِ<sup>٢١٧</sup>  
 يَخْفِقُ الشَّمْعُ وَحِيدًا وَيَلُهُ      فِي فَرَّاشٍ لَا يَرَى أَهْلًا لَهُ<sup>٢١٨</sup>  
 كَمْ أَرْجِي مُسْعِدًا لِي فِي الْبَشْرِ      وَنَجِيًّا كَمْ أَرْجِي فِي الدَّهْرِ

\* \* \*

يَا مِنْ الْأَنْجَمِ مِنْهُ تَسْتَنِيرُ!      أَرْجِعُنْ نَارَكَ مِنْ رُوحِي الْكَاسِيرِ  
 اسْلُبْنِ نَفْسِي مَا أُوْدَعْتَهَا      عَطَّلُنْ مِنْ نُورِهَا مَرَاتَهَا  
 أَوْ فَهَبْ لِي وَجَهَ خَلِّ لَبِقِ      هُوَ مَرَاةٌ لِعَشْقٍ مُحْرِقِ

\* \* \*

يَخْفِقُ الْمَوْجُ بِمَوْجِ فِي الْعُبَابِ      لَا يَسِيرُ الْمَوْجُ إِلَّا فِي صِحَابِ

ومع الكوكب يسري الكوكبُ وعلى الأقمار يحنو الغيَّهَبُ  
ومع الليل نهار أبداً ومسيرُ اليوم يقتاد غداً  
نهرًا، أبصرُ، يفنى في نهرٍ ونسيمُ الروض في عزف الزهرُ  
رُبَّ حانٍ أهلٍ من شربه راقصُ المجنونُ مجنونًا به  
أنت يا واحدٌ لا شبه لكَا عالمًا أنشأته من أجلكَا  
وأنا مثلُ شقيقاتِ الفلا مفردٌ، في بُهرة الجمعِ خلا<sup>٢١٩</sup>  
هَبْ نجياً يا وليَّ النعمة محرماً يدرك ما في فطرتي  
هَبْ نجياً لِقنًا ذا جِنَّة ليس بالدنيا له من صلة<sup>٢٢٠</sup>  
رُوحه أودع من أناتيه وأرى في قلبه مرآتيه  
وأسويه بطيني مُحكمًا  
وأرى آزره والصنما<sup>٢٢١</sup>

## هوامش

- (١) حيدر علي بن أبي طالب، ورستم من أبطال الفرس.  
(٢)

نيست درخشك وتربيشه من کوتاهي چوب هر نخل كه منبر نشوه داركنم

(٣) جام جم: أي كأس جمشيد، وفي أساطير الفرس أن الملك جمشيد كان عنده كأس يرى فيها الأقاليم السبعة، وفي هذا البيت وما بعده يقول الشاعر: إنه يرى الغائب، ويدرك ما لم يخلق.

(٤) جني الورد الذي لم يظهر من شجره، علم أنه سيظهر دون ريب، وأنه سيجنيه، فكأنه قد جناه.

(٥) لم يغش ضوئي النجوم، ولم يضطرب شعاعي في الأعين اضطراب الزئبق.

(٦) حبذا من صلى بناري وزمزم حولها كالمجوس.

(٧) هو صوت شاعر الغد، ليس صوتًا للزمن الحاضر.

(٨) أفكاري لا يفهمها هذا العصر، إنها جميلة جمال يوسف، ولكن ليس في هذه

السوق من يشتريها.

- (٩) يائس ممن عرف من الناس، وهو يرجو أن يأتي إليه كلیم يفقه عنه، كما ذهب موسى الكلیم إلى الطور.
- (١٠) قال: إنه شاعر المستقبل لا الحاضر، فقال: كثير من الشعراء لم يعرف قدرهم إلا بعد الموت.
- (١١) هو لحن لا يطيقه وتر، وهو لا يبالي أن يقطع أوتاره في إظهار هذا اللحن، لا يبالي أن يموت في الإعراب عن هذا الوجد.
- (١٢) الزهرة التي لا تنمو حتى تصير روضة ليست أهلاً لمطره.
- (١٣) جمع قنة، وهي قمة الجبل.
- (١٤) العين الأولى عين الماء، والثانية عين الشيء أي نفسه، وكلمة الحياة رديف.
- (١٥) يعني جلال الدين محمد بن الحسين البلخي البكري المعروف باسم جلال الدين الرومي، ناظم المثنوي، والشاعر يعترف بإمامته، ويكرر ذكره.
- (١٦) الفراش والشمع مثل للمحب والحبيب؛ فالفراش يقدم على النار فيحرق نفسه غير مبال، ولكن الشمع هو الذي غزا فراشه.
- (١٧) سرت مني دعوة يا رب في الليل.
- (١٨) السقطان الجناحان.
- (١٩) يقال عن كتاب المثنوي لجلال الدين الرومي: إنه القرآن في اللسان الفهلوي أي الفارسي.
- (٢٠) كم الزهر منقبض يخفي لونه وريحه، فإذا انفتح نشر ريحه واستبان شكله، فغمت الرائحة ملأت الأنف.
- (٢١) أذكى النار أشعلها.
- (٢٢) اتخذ ثوب الزجاج: أظهر ما في باطنك كما تظهر الزجاج ما فيها.
- (٢٣) الفهر الحجر الصغير، يعني اكسر مرآة الفكر ولا تعول على ما تبديه، وأبد ما للعشق في قلبك.
- (٢٤) الناي مأخوذ من الغاب، وصوته عند شعراء الصوفية حنين إلى غابة. وقد بدأ جلال الدين كتابه المثنوي بقصة الناي والغاب.
- (٢٥) قم فعل أمر، يعني: أحي الناس بقولك قم، والكلمة بلفظها العربي في الأصل.
- (٢٦) إشارة إلى ما يقال في وصف إرم ذات العماد.
- (٢٧) أبقيت كلمة خودي في الشطرين كما جاءت في الأصل، ومعناها الذاتية، وهي أساس فلسفة إقبال.

- (٢٨) جلا لي العشق كيف هذا الكون وكمه حين سلط عليّ مبرده فسواني رجلاً.
- (٢٩) رأى نبض النجوم وسير الدم في عروق القمر: أي أدرك أسرار الكائنات.
- (٣٠) الملة البيضاء الأمة الإسلامية، أي هو غبار من سيرها في الطريق.
- (٣١) فريد الدين العطار وجلال الدين الرومي من كبار شعراء الصوفية.
- (٣٢) يعني أن أصله من هذه الأمة، فإن يكن دخاناً فهو من هذه النار.
- (٣٣) ما قصدت ما يفعله الشعراء من نحت الأصنام وعبادتها، أي المدح والخنوع، للكبراء، أو للآراء السائدة.
- (٣٤) هو هندي يغلبه اللسان الفارسي، وهو كالهلال كأسه لم تملأ، أي لم يتم نوره.
- (٣٥) خوانسار وأصفهان أخرجتا شعراء وأحياناً كثيرة.
- (٣٦) الهندي اللغة الأردية التي نظم بها إقبال بعض دواوينه، والدري اللغة الفارسية.
- (٣٧) يعني صار قلمه من شجرة الطور المقدسة التي رأى موسى عندها النار.
- (٣٨) ناسبت الفارسية أفكاره فكتب بها، وينبغي أن ينظر إلى معانيه لا إلى ألفاظه الفارسية المعيبة.
- (٣٩) خلاصة الأبيات المتقدمة: أن الذاتية وهي واحدة اتخذت في الكون مظاهر مختلفة يحارب بعضها بعضاً، والحياة في هذا الخصام وهذا التنازع بين مظاهر الكون.
- (٤٠) في الأبيات الثلاثة المتقدمة يشير الشاعر إلى أن الخلقة لها مقصد تهدم من أجله آلاف الأشكال، ولا تبلغ الكمال إلا بهذا الهدم.
- (٤١) عشق فرهاد شيرين قصة رائعة في الأدب الفارسي، والختن بلاد معروفة بظباء المسك.
- (٤٢) يعني إبراهيم الخليل وأحمد النبي صلوات الله عليهما.
- (٤٣) في الأصل: تقوم وتثير وتطير وتبرق وتحترق وتجفل وتضيء وتقتل وتموت وتنبت، وقد اختصرتها في الترجمة.
- (٤٤) عمل الذاتية في الطين منه ازدهار العالم، والليل نومها والنهار يقظتها والأجزاء في الكون شرر شعلتها الواحدة، تنشق فتكون الأجزاء، وتنبسط فتكون الصحراء، ثم تحزئل — أي ينضم بعضها إلى بعض — فتكون جبلاً.
- (٤٥) قطرة الماء استكملت ذاتها فصارت درة، والخمر ضعفت ذاتها فهي مائة تستعير قوامها من الكأس.

- (٤٦) حذف بيت قبل هذا البيت وآخر بعده اختصارًا.
- (٤٧) حذف بيتان بعد هذا البيت اختصارًا.
- (٤٨) هذا مثل شعري آخر من قوة الذاتية شجر الجنار تقوى ذاته فيعلو وتكسوه حمرة كأنها النار، وكل هذا لأن حبه قوية محتفظة بذاتها.
- (٤٩) الخلاصة أن الذات التي تجمع قوة الحياة تخرج بحرًا زاخرًا من غدير صغير.
- (٥٠) المقصد مثل جرس القافلة ينبهها للسير.
- (٥١) هو من العقل كالخضر من موسى؛ يهديه ويبين له الحقائق. في بيان أن حياة الذات بتخليق المقاصد وتوليدها.
- (٥٢) الوهق حبل فيه أنشودة تمسك به الخيل المسيية، ويصاد به، وخيط الكتاب الخيط الذي تجمع به أوراقه بعضها إلى بعض.
- (٥٣) في هذا البيت وما بعده يضرب أمثلة لعمل الأمل في العالم؛ فيقول: إن العين خلقت حينما قصد الإنسان الرؤية، ورجل الحجلة خلقت من أجل السير والتبختر، وحلق البلبل من أجل التغريد.
- (٥٤) العقل كذلك من مواليد الأمل.
- (٥٥) كل نظام في الناس وسنن وعلم وفن، آمال انبعثت من القلب بقوتها فتصورت صورًا شتى.
- (٥٦) توعي: تجمع وتدخر.
- (٥٧) حذف بيت قبل هذا اختصارًا، والكامل هنا الإنسان المرشد الذي يهدي المبتدئ.
- (٥٨) إشارة إلى جلال الدين الرومي وشيخه شمس التبريزي الذي نقله من العلم إلى العشق، والروم هنا أرض الروم وهي آسيا الصغرى.
- (٥٩) المعشوق المذكور في هذه الأبيات هو الرسول.
- (٦٠) إشارة إلى ما جاء في الأثر مثل: أنا عبد أكل إكلة العبد وأجلس جلسة العبد.
- (٦١) إشارة إلى قصة بنت حاتم الطائي حين جيء بها إلى المدينة في الأسرى فألقى عليها الرسول برده وأطلقها.
- (٦٢) إشارة إلى عفو الرسول يوم فتح مكة عن قريش، وقوله: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾.
- (٦٣) يعني أننا كالبصر يصدر من عينين، هو واحد وإن اختلف مصدره.
- (٦٤) نحن ممتزجن كما يمتزج الراح والزجاج.

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

(٦٥) إشارة إلى قصة حنين الجذع الذي كان يخطب عنده الرسول حين انتقل عنه إلى مكان آخر.

(٦٦) هو بستان ناضر من مطر آذاره، والضمير للرسول ﷺ.

(٦٧) جمع ما جمع من المعاني من تسريح عينه في مآثر الرسول.

(٦٨) الشيخ عبد الرحمن الجامي من كبار العلماء والشعراء والصوفية في القرن

التاسع الهجري.

(٦٩) للعشق أشكال مختلفة منها التقليد أحياناً، وهو يدعو هنا إلى تقليد الرسول.

(٧٠) هاجر إلى الحق لتقوى؛ ثم ارجع إلى نفسك فاحطم ما بها من أهواء.

(٧١) فاران: اسم مكة أو جبالها.

(٧٢) إشارة إلى الآية: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي لتكون خليفة الله في

الأرض.

(٧٣) إشارة إلى قصة عمر حين سقطت درته من يده وهو راكب فنزل ليأخذها

ولم يرض أن يناوله إياها أحد.

(٧٤) ركوب عود من القصب أو الجريد كما يفعل الأطفال.

(٧٥) لا نور في سينائها يهدي إلى الحق، إشارة إلى قصة موسى.

(٧٦) لا تسأل المال ولو من عين الشمس.

(٧٧) السمة التي على وجه القمر سمة اجتدائه نور الشمس.

(٧٨) إشارة إلى الأثر: الكاسب حبيب الله.

(٧٩) لا يطلب من الخضر شربة ماء، وعند الخضر ماء الحياة كما في القصص.

(٨٠) همته يقظانة وإن كان جده نائماً.

(٨١) يتخيل الشعراء حباب الماء كأساً فارغة وهي في البحر، فضرب الشاعر الحباب

مثلاً في العفة والإباء.

(٨٢) تحكم أي تصير قوية محكمة.

(٨٣) دارا وجمشيد من ملوك الفرس القدماء.

(٨٤) الشيخ أبو علي قلندر من كبار صوفية الهند في القرنين السابع والثامن،

والقصة التي يسير إليها الشاعر وقعت بين الشيخ والسلطان علاء الدين الخلجي،

وخلاصتها أن أحد مريدي الشيخ ذهب إلى السوق وكان موكب العاهل قادمًا فنادى أحد الحرس الدرويش ليفسح الطريق، فلم ينتبه فضربه على رأسه، فذهب إلى شيخه شاكيًا، فكتب الشيخ إلى السلطان: إما أن تعزل عاملك أو أنصب مكانك ملكًا آخر، فخاف السلطان وأرسل الشاعر الكبير أمير خسرو — وكان ماهرًا في الموسيقى — فغنى بعض شعره على الرباب، فلما أنس من الشيخ قبولًا أبلغه رسالة السلطان يطلب عفو الشيخ فعفا عنه، ويريد إقبال بهذه القصة بيان قوة النفس التقية المستغنية.

(٨٥) هذا البيت يشير إلى مطلع قصيدة فارسية للشيخ أبي علي قلندر فيها ذكر

البلبل والورد.

(٨٦) أمير خسرو الدهلوي من كبار الشعراء في القرن الثامن الهجري.

(٨٧) طبل النوبة كان يضرب في أوقات معينة على أبواب الملوك.

(٨٨) قال الكبش إلخ.

(٨٩) ساعد الضأن ويد الأسد.

(٩٠) فادعى في القوم، أي ادعى الكبش.

(٩١) ﴿كَذَّابٌ أَشْرٌ﴾ و﴿نَحْسٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ اقتباس من القرآن، جاء في الأصل.

(٩٢) مذهب إقبال قائم على أن الخير في إثبات الذات والشر في نفيها.

(٩٣) الحبة الواحدة لا تبالى بالبرق ولكن البرق يحرق البيدر الكبير.

(٩٤) يداس العشب فينمو، فالذلة فيها نفع.

(٩٥) لعل فيها إشارة إلى ما يفعله نساك الهند، وإلى الصورة التي تمثل ثلاثة

قرود؛ واحد يسد فمه، والثاني أذنيه، والثالث عينيه.

(٩٦) أعرض عن الحواس.

(٩٧) يؤمن بعالم الأحلام لا عالم اليقظة، ولا تبصر عينه الماء، ولكن تبصر السراب

— الآل السراب.

(٩٨) الحي يعيش في عالم الإمكان، عالم الحس، والميت يعيش في عالم الخيال،

عالم الأعيان عند أفلاطون، وهذا رد على أفلاطون.

(٩٩) خلق أفلاطون عالمًا لا يثب ظبية ولا يتبختر حجله — والحجل طير جميلة في

مشيها تبختر.

(١٠٠) الحبة في طبيعتها النمو والفراش في طبعه حب الضوء، ولكن حبة أفلاطون

تكره النمو، وفراشه يكره الضوء.



(١٠١) رأى إقبال أن يخلق الفكر ليعود إلى عالم الحس، لا ليبقى في عالم التفكير والتخيل.

(١٠٢) الكور مجمرة الحداد.

(١٠٣) يقول: إن الأمل وسيلة العمل، والأمل يخلقه الميل إلى الخير والجمال.

(١٠٤) ضمير الشاعر فيه شقائق لا يراها الناس، وفيه بكاء وغناء لا يسمعونه.

(١٠٥) إشارة إلى قصة الخضر واهتدائه إلى ماء الحياة في أرض الظلمات.

(١٠٦) يكمل دائرة الحياة.

(١٠٧) السرو: شجر طويل، يصفه الشعراء بالرشاقة والتمايل.

(١٠٨) بنات البحر: حيتان خرافية، نصفها الأعلى كالإنسان، تغوي الملاحين بأنغامها

حتى تغرق السفن.

(١٠٩) أي لا تشتهي العمل ولا تطيقه.

(١١٠) نيسان: من شهور الربيع يكثر فيه المطر، وهذا الشاعر الذي يصفه إقبال

ليس في نيسانه سيل من البرق، أي: ليس في سحابه برق ولا مطر، وقد شبه إقبال

وميض البرق بالسيل، والآل السراب، أي بستانه سراب من اللون والرائحة.

(١١١) بهزاد: مصور إيراني ماهر، يقول إقبال: إن هذا الشاعر شوه صورة العشق،

وفي الأبيات التالية يبين ما أصاب العشق من الذلة والخور على لسان شاعر السوء.

(١١٢) يستجدي أو يحاول السرقة فيركله الحارس.

(١١٣) هذه الأوصاف تعرب عن غيظ إقبال من الشعراء الذين أنزلوا الآداب

الإسلامية.

(١١٤) إقبال معجب بالعرب الذين حملوا رسالة الإسلام إلى أقطار الأرض، لا

يصددهم شيء، ويكبر الهمة والقوة والصبر فيهم، ويمدح الأدب العربي القوي.

(١١٥) الهما: طائر خرافي إن سقط ظله على إنسان صار ملكاً، والشاعر هنا

يخاطب المسلم قائلاً: إن الهما الذي يمنح الناس الحظ قد علا حظه بأنك صدته فأنت

أعلى منه، فارفع عشك فوق الجبل.

(١١٦) الأنوق: العقاب.

(١١٧) اقتباس من القرآن، وهو في الأصل.

(١١٨) إذا وفق الإنسان بين نفسه وبين القانون أطاع القانون مختاراً لا مجبراً.

(١١٩) الشقيق: شقائق النعمان، وهي في الشعر مثال الوجد والاحترق.

(١٢٠) في الأبيات السابقة ضرب الشاعر أمثالاً مختلفة لسير الأحياء والأشياء على قوانين.

(١٢١) ينصح المسلم بالتزام الشرع واحتمال شدته، فهذا قانون لا يسعد الإنسان بدونه، ويقول للمسلم: كنت حرًا باتباع دستورك القديم؛ فارجع وقيد رجلك بهذا القيد الجميل، ففي هذا القيد حريتك لا عبوديتك.

(١٢٢) لا إله: اختصار لا إله إلا الله، وهكذا يستعملها الشاعر في كثير من شعره، يقول: إنما السبيل إلى أبطال طلسم الخوف أن تمسك عصا من التوحيد كعصا موسى تبطل السحر.

(١٢٣) لا: إشارة إلى نفي ما سوى الله.

(١٢٤) يضع السكين في حلق ولده كإبراهيم الخليل.

(١٢٥) خيط الكتاب ما تضم به صفحاته بعضها إلى بعض.

(١٢٦) البكر الجمل الفتى، ويراد به الجسد، مسامرة للتشبيه الذي بدأ به الفصل.

(١٢٧) لا يزال الشاعر في تشبيهه الجسد بالجمل، فالصعب هنا الجمل غير الذلول.

(١٢٨) البساط البالي الأباطيل الموروثة.

(١٢٩) يخلق من فكره أكوأناً أخرى، لا يقيدته ما هو واقع.

(١٣٠) المضرب: أداة تضرب بها أوتار العود.

(١٣١) الهاء في هوه للوقف، والبيت مردوف في «الأسماء» و«أسرى».

(١٣٢) يعدو تحته حصان الزمان، أي يسير الزمان سريعاً إلى مقصده.

(١٣٣) إن قال قم انبعثت الأرواح من قبور الأبدان.

(١٣٤) يبديل قيم الأعمال بما يضع من معايير جديدة.

(١٣٥) يكثر في الفارسية ذكر الفارس والغبار، يقال مثلاً: رب فارس في هذا

الغبار، والشاعر يقول هنا: قد أصابنا ما أصابنا وممرت بالناس محن، فارتفع غبارهم، فظهر هذا الفارس من هذا الغبار، يعني: أن هذا الإنسان الكامل لا يناله الناس إلا بعد حوادث شديدة.

(١٣٦) الأكماء: جمع كم الزهرة قبل أن تنفتح، يقول: إن الكم عندنا سينفتح عن

روضة، وعيوننا تضيء بنور المستقبل.

(١٣٧) الأبيات السبعة الأخيرة خطاب للإنسان الكامل أو النائب الإلهي.

(١٣٨) هنا عنوان فصل حذفته، وحذفت معه اثنين وعشرين بيتاً لم أجد في ترجمتها

فائدة، والكلام بعدها متصل بما قبلها.

- (١٣٩) لا تكن وردة وكن كالحجر صلابة، وكن سورًا يحمي الأزهار.
- (١٤٠) يغير نظام الموجودات إن لم تلائمه، يعني: يسخر عالم الطبيعة في مراده.
- (١٤١) يغير ما يزعمه الناس تأثير الفلك وحكم الأيام.
- (١٤٢) الضمير في هذا البيت والأبيات التالية يعود إلى الخور، وفيها يبين إقبال تعذير الضعفاء والتماس أسماء مختلفة لضعفهم.
- (١٤٣) جمام جمشيد: وهي كأس خرافية كانت ترى فيها الأقاليم السبعة.
- (١٤٤) ينبغي أن يذكر القارئ أن إقبالاً يعني قوة الروح والخلق أيضًا.
- (١٤٥) الشيخ علي الهجويري مؤلف كتاب: «كشف المحجوب لأرباب القلوب» في التصوف، كان من كبار الصوفية الذين وفدوا على البنجاب، ووعظوا فيها ونشروا الدعوة الإسلامية، توفي سنة ٤٦٥هـ، ومزاره في لاهور يقصده الناس من كل صوب، ونسبته إلى هجوير إحدى قرى غزفة.
- (١٤٦) والشيخ الجشتي أحد عظماء الصوفية ودعاة الإسلام في الهند، أسلم بدعوته كثير من الهنادك، أقام في أجمير وتوفي بها سنة ٦٣٢هـ، ومزاره أعظم المزارات الإسلامية في الهند، ويشير إقبال في هذا البيت إلى زيارة الجشتي قبر الهجويري في لاهور واعتكافه عنده زمنًا.
- (١٤٧). السحابة الراعدة الممطرة
- (١٤٨) العقاب جمع عقبة.
- (١٤٩) الردى: أن تغفل الذات لا أن يفارق الروح البدن.
- (١٥٠) كن مثل يوسف؛ أقام في نفسه فأحكمها، فمضى من السجن إلى الوزارة.
- (١٥١) أبدى السر في قصة قصيرة ككم الزهرة.
- (١٥٢) هذا البيت من شعر جلال الدين الرومي.
- (١٥٣) هي مضيئة بنور الشمس، وهي في خوف أن تجف في أشعة الشمس.
- (١٥٤) قطرة الندى كأنها كوكب من السماء تجلى على الأرض، والندى في شعر إقبال يرمز أحيانًا للأمور العلوية.
- (١٥٥) الأكماء: أكمام الزهر، وهذه القطرة سريعة الزوال لم تأخذ نصيبًا من الحياة الذاتية.
- (١٥٦) كن في صلابة الفضة باجتماع الذرات المضطربة كالزئبق.
- (١٥٧) بناريس: بناريس المدينة المقدسة في الهند.

(١٥٨) يدعو هذا الشيخ إلى استمساك البرهمي بدينه وكماله فيه ما دام برهيمياً، ويرى الكمال ولو في الكفر خيراً من النقص، ثم يقول إن الموحدين لا يسيرون على نهج إبراهيم الذي كسر الأصنام، والوثنيين لا يتبعون آزر الذي نحتها.

(١٥٩) الخطاب من نهر الجنج لجبل همالا، وخلاصة المحاوراة: أن النهر يعير الجبل بالعجز عن المسير، فيجيب الجبل بأن البقاء في ثبات الكائن في مقامه، وأن الفناء في زواله عن مقوماته، وهذه المحاوراة تصور رأي إقبال في إثبات الإنسان ذاته وتقويتها، وأن نفيها أو الغفلة عنها يؤدي بها.

(١٦٠) الريح: الرائحة، لا ترم أن يقطفك الناس لتفوح رائحتك.

(١٦١) اقتباس من جلال الدين الرومي مع تغيير في اللفظ.

(١٦٢) إن كنت ماء فاحفظ نفسك في البحر حتى تصير لأولؤة، أو كن سحاباً ذا

برق ورعد يجتدي منك البحر ماءه.

(١٦٣) الحق: الله تعالى، يبلغ المؤمن درجة يفنى فيها رضا الحق في رضاه، أي:

يكون رضا الحق، والشطر الثاني مأخوذ من جلال الدين الرومي.

(١٦٤) القصة التي نظمها الشاعر في هذا الفصل كانت بين السلطان شاهجهان

والشيخ ميا نمير، وشاهجهان أحد سلاطين الدولة الإسلامية المغولية في الهند، ولا تزال آثاره في العمارة زينة الهند كلها ومفخرتها، وهو باني المزار ذائع الصيت «تاج محل» في مدينة أجرة، شاده لزوجه ممتاز محل، حكم (١٠٣٧-١٠٦٨هـ) ومير محمد المعروف بميا نمير هو أحد مشايخ الطريقة القادرية في الهند، ولد في السند سنة ٩٣٨هـ، وأخذ عن شيخه الشيخ محمد خضر، ثم انتقل إلى لاهور فأخذ عن مشايخها، وقد عظمت مكانته فكان يزوره السلطان جهانجير، ثم ابنه شاهجهان صاحب القصة، وتلمذ له عبد الحكيم السيالكتوي المعروف في علم الكلام، توفي سنة ١٠٤٥هـ ومزاره مقصد الزائرين في لاهور اليوم.

(١٦٥) هل من مزيد جاءت في الأصل بلفظها العربي، يعني جعل سيفه يقول: هل

من مزيد.

(١٦٦) قال الشيخ: سلطاني ... إلخ.

(١٦٧) جوع السائل يضره وحده، وجوع صاحب الدولة يخرب البلاد.

(١٦٨) كن قطرة لا ترص بغاية، فهي تشرب البحر في ضمئها، الصدى الظلم.

(١٦٩) إشارة إلى قصة الغار والحمامة التي عششت عليه، يعني: إن لم تكن ذا

همة تطير عن الأرض، فلا تطلب المنزلة الرفيعة.

- (١٧٠) بيت من جلال الدين الرومي.
- (١٧١) سلك الدر نظمه في السلك.
- (١٧٢) أي الحكماء المشائين.
- (١٧٣) شيخ تبريز شمس الدين التبريزي، الصوفي، الذي أرشد جلال الدين الرومي إلى التصوف، وكمال هو كمال الدين الجنيدي شيخ شمس الدين.
- (١٧٤) انتهت قصة الرومي والتبريزي.
- (١٧٥) بردا الأولى فعل ماضٍ، والثانية البرد الذي ينزل من السحاب.
- (١٧٦) إشارة إلى قصة إبراهيم الخليل في القرآن الكريم، وقوله حينما أفل الكوكب ثم القمر: لا أحب الأفلين، وكأن الشاعر تصور الأفل خامدًا، فقال: إن علم المسلم من نار القلب، والإسلام ترك ما يأفل أي يخدم.
- (١٧٧) إشارة إلى قصة إلقاء إبراهيم في النار، وكونها بردًا عليه وسلامًا.
- (١٧٨) الكحل سواد طبيعي في منابت أشفار العين، يقول الشاعر: أيها الساعي للجمال المصنوع غافلا عن جماله الطبيعي يعني المسلم المقلد غيره الغافل عما عنده.
- (١٧٩) يعني اركب الأهوال وراء ما تبتغي، واطلب المنفعة عن كل ضار، واجعل ماء الخنجر — أي بريقه — ماء الحياة.
- (١٨٠) علم هذا العصر فيه نار كنار الشقائق، لا حرارة فيها، وله بريق كبريق الندى لا نار فيه.
- (١٨١) السلطان محمود الغزنوي فاتح الهند الملقب مكسر الأصنام، يعني: أن العشق كمحمود والعقول كالأصنام.
- (١٨٢) الضمير في هذا البيت يرجع إلى العقل أو علم العصر الحاضر، ليس في كأسه نشوة، ولا في ليله دعاء «يا رب» وما فيه من وجد.
- (١٨٣) يرجع يخاطب المسلم.
- (١٨٤) نفر من سواد الكعبة: فخرج من الحرم فتمكن منه الصياد.
- (١٨٥) يرى إقبال أن الإنسان ينبغي أن يثبت في نفسه وأخلاقه وسنته، ويبعد في مساعيه دون أن ينسى مركزه؛ فهو كالوردة ينتشر عرفها ويلتئم ورقها، فإذا تفرق الورق فنيت.
- (١٨٦) نحن مسلمون، ولكن في أنفسنا وثنية من عبادة الهوى والخضوع لغيرنا.
- (١٨٧) الدمى: جمع دمية، يراد بها الإنكليز، وما عندهم من مال ومناصب الخ.

- (١٨٨) يعني: أن الشيخ صار شيخاً بابيضاض شعره لا بعلمه وتقواه، والأطفال سيرون وراءه ساخرين منه، وأحسب الشاعر يعني ضرباً من رجال الطرق في الهند.  
(١٨٩) «لا إله» اختصار لا إله إلا الله حيثما جاءت في شعر إقبال.  
(١٩٠) مأخوذ من بيت لحافظ الشيرازي:

شب أز مسجد سوى ميخانه آمد پيرما      چيست ياران طريقت بعد أزين تدبيرما؟

- (١٩١) الوقت سيف من كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه (المؤلف).  
(١٩٢) حيدر: علي بن أبي طالب.  
(١٩٣) انظرا: فعل الأمر مع نون التوكيد الخفيفة.  
(١٩٤) الحيوان: الحياة.  
(١٩٥) إشارة إلى الأثر: لي مع الله وقت لا يسعني فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب، ويريد الشاعر أن يقول: إن الوقت حال الإنسان لا ساعات الفلك.  
(١٩٦) الضمير يرجع إلى الوقت.  
(١٩٧) يقول الشاعر: إنك أحياناً كالرائحة لا تثبت في بستانها، وأحياناً سجين في سجن بنته يداك تسير مع ساعات الزمان وتحبس نفسك فيها والوقت هو أنت.  
(١٩٨) لفظ القضاء والقدر، يعتل به ويحيل الأمور عليه.  
(١٩٩) عزم الحر من القضاء، ويقول الشاعر في هذا: إن القضاء يستشير الحر فيما يفعل.  
(٢٠٠) لا يعتل بأن شيئاً فات وقته وأن شيئاً لم يحن وقته، بل عزمه يطوع كل وقت لما يريد.  
(٢٠١) القافية مردوفة والروي في حضور ومرور.  
(٢٠٢) أبيات إقبال هذه في الوقت وفي التفريق بين العبيد والأحرار من أروع ما عرفته الفلسفة والشعر.  
(٢٠٣) في هذا البيت والأبيات بعده يذكر إقبال ماضي المسلمين.  
(٢٠٤) في هذا البيت وأبيات تليه يخاطب الشاعر أهل الغرب المسيطرين على العالم.  
(٢٠٥) يشير إلى أول سورة في القرآن: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾.  
(٢٠٦) الخطاب لله تعالى.  
(٢٠٧) يعني تكلفنا واجبات عظيمة، وليس في يدنا اليوم أسبابها.

(٢٠٨) إشارة إلى الآية: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾.

(٢٠٩) يعني: أضع المسلمون خيط الاتحاد فتعقدت أمورهم.

(٢١٠) الورق: ورق الكتاب والسلك الخيط الذي يجمع به الورق.

(٢١١) «لا»: يريد النفي في كلمة التوحيد، نفي ما سوى الله، و«إلا الله» هي الإثبات في هذه الكلمة.

(٢١٢) الشقر: شقائق النعمان، وهي زهر أحمر يضرب به المثل في الاحتراق، ولكن الشاعر يقول: إن هذه النار الباردة تمحوها نار دموعي.

(٢١٣) قلبه متصل بذكري الماضي، ولكن عينيه تريان المستقبل، وتطمحان إليه، وهذا المعنى يكرره إقبال.

(٢١٤) البيت من فاتحة المثنوي لجلال الدين الرومي في وصف الناي.

(٢١٥) نار تحرق المحسوسات وتنفذ إلى البواطن.

(٢١٦) هذه النار نار العشق تخرج بالعقل عن حدوده الضيقة، وتحرق ما لقنه الناس من علم، انظر الكلام عن العشق والعقل في مقدمة ضرب الكليم.

(٢١٧) يبكي إقبال لخلو عصره من القلب، كما يبكي المجنون لخلو المحمل من ليلي.

(٢١٨) يعني: أنه كالشمع لا يجد فراشاً أهلاً لناره، ليس له أصحاب أو تلاميذ يفقهون عنه ما يقول.

(٢١٩) الشقيقات: جمع شقيقة واحدة الشقائق التي تسمى شقائق النعمان، هو وحيد وإن كان في جماعة.

(٢٢٠) يريد إقبال نجياً مجنوناً، والجنون في لغة إقبال الهيام والإقدام إلى غير أحد.

(٢٢١) يكون له ناحتاً كآزر، ويكون صنماً له يتوجه إليه توجه العابد إلى الصنم.





## رُموز نفي الذات

جِدْ بنفيِ الذاتِ ذاتاً، لا تهابُ اجتهد، واللهُ يَهْدِيكَ الصواب

جلال الدين الرومي

### مهداة إلى الأمة الإسلامية

إيه يا مُنكَراً أحاديثَ عشقي ليس بي حُرقةٌ تكونِ بغيري

عرفي<sup>١</sup>

ختم الله إليك الأمما  
كم تقيُّ فيك كالرسل مُنيب  
لك طرفٌ بالنصارى سُجراً  
يا مَنْ الأفلاك من هبوتها  
سرتِ كالموج دُوب السفرِ  
كفَراش في لظى الحب اصبري  
أحْكمي العشق بروح قد صفا  
بك حقاً كلُّ بدءٍ حُتما  
وجريحِ القلبِ رفاءِ القلوب  
وعن الكعبة أُبعِدتِ السُرى<sup>٢</sup>  
«مَنْ رنا الكونُ إلى طلعتها»<sup>٣</sup>  
«أين تبغين مرادَ النظر؟»<sup>٤</sup>  
وخذي عُشك بين الشريرِ  
جُددي العهد بحبِّ المصطفى

صحبة النَّصرانِ قلبي هجرا  
ورفيقي رهنُ حسنِ الآخرين  
سدةُ الساقى بخديهِ يدوسُ  
وأنا فيكِ قتيلُ الحاجبِ  
أنا من نظمِ مديحِ أرفعُ  
كم مرايا صُغَتْها من كليمي  
لا ترى المنَّةَ جيدي تأطرُ  
مُقدِّمٌ في الدهرِ مثلِ الخنجرِ  
أنا في نارِ الحياةِ الشرُّرُ  
حينما وجهكِ عندي أسفرا  
واصفِ الطرَّةَ منهم والجبينُ  
منشداً قصةَ غلمانِ المجوسِ<sup>٥</sup>  
وتُرَابِ في حِمَاكِ الحادِبِ  
لستُ ممَّنْ لأميرِ يركعُ  
فعنِ اسكندرَ تعلو هَممي<sup>٦</sup>  
من زهورِ الروضِ ججري صَفْرُ<sup>٧</sup>  
من قلوبِ الصخرِ مائي أمتري<sup>٨</sup>  
في ثيابِ من رمادي أسترُ

\* \* \*

قصدتُ بابكِ روعي في خشوع  
إن في الزرقاءِ يَمَّا يقطرُ  
أجمعُ القطرِ ربيعاً جارياً<sup>٩</sup>  
قد حُببِيتِ الحبَّ من محبوبنا  
قذِفِ العشقُ بقلبي حُرَقَا  
وشققتِ الصدر، كالوردِ لكِ<sup>١١</sup>  
لتنالي نظرةً من سحرِكِ  
ثم أشدو قِصَصًا من أمسكِ  
في هدايا من لهيبِ ودموعُ  
فوق قلبِ لاهِبِ لا يفتُرُ  
وإلى رَوْضِكِ أزجي صافياً  
أنتِ قلبِ قد ثوى في صدرنا<sup>١٠</sup>  
صاغ مرآةً فؤادي المُحرَقَا  
مُدنياً مرآته من وجهكِ  
وتُرِّي مغلولَةً في شَعركِ<sup>١٢</sup>  
فأذَكِّي حُرَقَا في نَفْسِكِ

\* \* \*

أسألُ الحقَ حياةً تحصُفُ  
نائحُ والليلِ ساجٍ سادلُ  
تصطلي روعي بحزنِ وألمُ  
أملاً في الصدرِ صيَّرتُ دما  
ما احتراقِي كشقيقِ أبداً  
أنا كالشمعِ دموعي غُسلِي  
محفلُ الناسِ بنوري يُشرقُ  
ما لناري في الحشا من فِترَةِ  
لفريقِ نفسَه لا يعرفُ  
يهجعُ الناسُ ودمعي هاطلُ  
وردُ «يا قيوم» أنسي في الظلمُ  
ليرى في أدمعي مُنسجما  
فيم أستجدي من الفجرِ الندى<sup>١٣</sup>  
في ظلامِ الليلِ أذكي شِعلي  
أنشرُ النورِ ونفسي أحرقُ  
ما بأسبوعي فراغُ الجمعة<sup>١٤</sup>

إن رُوحِي فِي سَحِيقِ الْجَسَدِ  
مُذْ بِرَانِي الْحَقُّ فَجَرَ الْخَلْقَةَ  
أَهَّةٌ ثَوْبَ غِبَارِ تَرْتَدِي<sup>١٥</sup>  
أَنَّهٌ لِلْعَشْقِ تُفْشِي سِرَّهُ  
زَلْزَلْتُ أَوْتَارَ عَوْدِي أَنْتِي  
تَجْعَلُ الْعَصْفَ لَهَيْبًا يُحْرَقُ  
أَهَّةٌ فِي الْعَشْقِ تُذْكَي جَمْرَهُ  
وَفَرَاشًا مِنْ تَرَابٍ تَخْلُقُ<sup>١٦</sup>

\* \* \*

فِي ضَمِيرِ الْعَشْقِ وَسَمٌّ كَالشَّقْرِ  
هَذِهِ الْوَرْدَةُ أَحْبَبُوا صَدْرِكَ  
وَلَهُ وَرْدَةٌ وَجِدٌ تَسْتَعْرِزُ  
لَأُرَى فِي تُرْبِكَ الرُّوضِ الْيَنْبِيعِ  
فِي سُبَاتٍ مِنْكَ أَذْكَى حَشْرِكَ  
وَبِأَنْفَاسِكَ أَرْوَاحَ الرَّبِيعِ

### تمهيد في معنى ارتباط الفرد والأمة

رَحْمَةً لِلْفَرْدِ حِجْرَ الْأُمَّةِ  
فَالزَّمَنَّ الْجَمْعَ جَهْدَ الْمَسْتَطَاعِ  
كَامِلٌ جَوْهَرُهُ فِي الْمَلَّةِ  
وَاحْفَظْ مَا قَالَهُ خَيْرُ الْبَشَرِ:  
فِي ذَرَا الْأَحْرَارِ كُنْ مِثْلَ الشَّعَاعِ  
وَقَرَدْنَا مَرَاتَهُ أُمَّتُهُ  
كُلُّ شَيْطَانٍ مِنَ الْجَمْعِ نَفْرُ  
وَكَذَا مَرَاتُهَا صَوْرَتُهُ  
أَوْ نَجُومٌ تَتَجَلَّى فِي النَّهْرِ<sup>١٧</sup>  
وَمِنَ الْأَفْرَادِ نَظْمَ الْأُمَّةِ<sup>١٨</sup>  
كَانَ كَالْقَطْرَةِ صَارَتْ خِضْرِمَا  
وَالْتَقَى الْغَابِرُ وَالْآتِي بِهِ  
وَقَتُّهُ لَا يَنْتَهِي كَالْأَبْدِ  
هُوَ بِالْأُمَّةِ سَعْيٌ رَابِحٌ  
سِرُّهُ مِنْ قَوْمِهِ وَالْعَلَنُ  
وَمِنَ الْأَسْلَافِ يَقْفُو طُرُقًا  
فَتَرَاهُ الْفَرْدَ وَهُوَ الْأُمَّةُ  
وَهِيَ، بِالْوَحْدَةِ فِيهِ، وَحْدَةٌ<sup>١٩</sup>  
جَوْهَرِ الْمَعْنَى لَدَيْهِ انْكَسَرَا<sup>٢٠</sup>  
فَتَرَى مَحْرُومَةً وَصَلَ الرَّبِيعِ

طفئت أنغام أعواد غناء  
يُحرّم الفردُ الوحيدُ المقصدا  
تجمع الأمة شمل المنة  
نشأت بالقيد حرًا مطلقًا  
ظبيّه الوثابُ مسكا يعبق  
أنت لم تعرف «خودي» من «بيخودي»  
إن في طينك نورًا قد بدا  
كل غمّ ورضًا من دورته  
أنت منه أنت حقًا وأنا  
يخلق النفس ويذرو ويُقرّ  
يأسر الشعلة هذا الشررُ  
حرة رهن قيود فطرته  
لكفاح دائم تنزرو قواه  
يستثير الحرب في جلوته  
يقطع الجبرُ عليه الطرُقًا  
تشظى الذات في أمتها  
فاتها من زمزم الأمة ماء  
فترى نظم قواه بددا  
فيه تحبوه عظيم الهمة  
أثبتت في الأرض سرورًا بسقا<sup>٢١</sup>  
إن حواه من نظام وهق<sup>٢٢</sup>  
أنت لا ريب من الشك ردي<sup>٢٣</sup>  
بشعاع منه أبصرت الهدى<sup>٢٤</sup>  
أنت حيّ بتوالي ثورته  
أنا، وهو الفرد لا يرضى ثنا<sup>٢٥</sup>  
ذو دلال في خضوع مستتر<sup>٢٦</sup>  
لهب من حرّه مُستعر<sup>٢٧</sup>  
جزؤه بالكل حاطت قوته  
هو يُسمى الذات أو يُسمى الحياه  
حين يُبدي النفس من خلوته<sup>٢٨</sup>  
وله بالحبّ فرع سَمَقًا<sup>٢٩</sup>  
لترى الروضة من زهرتها<sup>٣٠</sup>  
نكتة خذها، كسيف مخذم  
وانصرف عني إن لم تفهم<sup>٣١</sup>

### في معنى أن الملة تنشأ من اختلاط الأفراد وأن تكميل تربيتها بالنبوة

ما ارتباط الجمع، أئى يوصف؟  
إننا نبصر فردًا في الجميع  
فطرة تنهج نهج الوحدة  
كل فرد بأخيه ائتلفا  
لّفهم في عيشهم معترك  
من جذاب تتوالى الأنجم  
قصة أولها لا يُعرف  
زهرة نقطف في هذا الربيع<sup>٣٢</sup>  
إنما تزهر وسط الروضة  
مثل درّ في سموط ألفا  
كل فرد بأخيه ممسك  
كوكب من كوكب مستحكّم

\* \* \*

ومروجٌ وسُهبٌ ورمالٌ	كان رَكْبُ الناسِ مأواه الجبال
فكرهُ ما فُتِّحتْ زهرتُهُ	نسجُهُ ما أُحْكِمْتُ لُحْمَتُهُ
لحنه لَمَّا يُؤَلِّفُ نَغْمًا	عودُهُ ما بلحونٍ رَنَّمًا
لم يَخْزِه بزيانِي مطلب <sup>٣٣</sup>	لم يُثِرْه من رجاءٍ مِضْرَبُ
جامُهُ من خمره غير ندي <sup>٣٤</sup>	محفل غُفْلِ حديثِ المولد
كَرْمِه ما فار فيه دُمُه <sup>٣٥</sup>	لم يُرعرع في ثَراه نَجْمُه
خائفٌ من وهمه في كل حالٍ	فكره دارٌ لغيلانِ الخيالِ
قد أحاطت فكره جُدرانُهُ	نو وجودِ ضيِّقِ ميدانُهُ
قلبه من قصفِ ريحٍ حَفَقًا	طينُهُ من خيفةٍ قد خُلِقًا
يده في أرضه لا تضربُ	روحه من كل صعبٍ تهَرَّبُ
كل ما ترمي سماءً يلقفُ	كل ما ينمو بأرضٍ يقطفُ

\* \* \*

يكتب الأسفار من حرف يسير	ثم يهدي الله ذا قلب بصير
وحياءً في مَوَاتٍ يَبْعَثُ	عازفٌ في كلِّ نَفْسٍ يَنْفُثُ
كل قَدْرٍ حالٍ في معياره <sup>٣٦</sup>	تقبس الذرَّةَ من أنواره
بشعاعٍ منه يُزْهِى مجلسُ	يُنْشِرُ الأَنْفَسَ منه نَفْسُ
وحدًا الأشْثاتِ، هذا عَجْبُ <sup>٣٧</sup>	شفةٌ تُحْيِي وعينٌ تَجْدِبُ
يجعل البِيدَ كرويضٍ نَضِرِ <sup>٣٨</sup>	يهب الناسَ جديدِ النظرِ
بلهيبٍ منه حَرَّى ثائره	فترى الأمةَ منه سائره
فأحال الطين فيها شُعلا	شَررًا في قلبها قد أشعلا
فإذا الذرة سيناء تَرى <sup>٣٩</sup>	سيره يعطي الترابِ البَصرا
وهب الثروة هذا المفلسا <sup>٤٠</sup>	عاريَ العقلِ بجدواه كسا
ويذيب الغش من عسجده <sup>٤١</sup>	ينفخُ الجمرَةَ في موقده
ويُجِيرُ القِنَّ من أقياله	ويفكُ العبدَ من أغلاله
أترى قدرك دون الصنمِ <sup>٤٢</sup>	قائلًا أن لستَ عبدًا فاعلمِ

يجذب الإنسان شطر المقصد      جاعلَ الشرعَ زمامًا في اليدِ  
نكتةَ التوحيدِ يوحىها إليه  
أدبَ الطاعةِ يمليه عليه<sup>٤٣</sup>

## أركان الأمة الإسلامية الركن الأول التوحيد

طَوَّفَ العقلَ بدنيا العِللِ      عَوَزَ المنزلُ هذا السابلا  
أعوزَ المنزلُ هذا السابلا  
في «آتي الرَّحْمَنُ عَبْدًا» مُضْمَرٌ  
يبتلي التوحيدُ فيك العملًا  
يُشرقُ الدينُ به والحكمةُ  
قد تجلَى حيرةً للعالمين  
يرتقي في ظله المتضِعُ  
يجتبي التوحيدَ عبدًا ثابرا  
فهو في الحق حثيث دائمٌ  
ريبه يَفنَى ويحيا العمل  
في «مقام العبد» إن تثبت قدم  
«لا إله» الروحُ في أمتنا  
«لا إله» السرُّ في أسرارنا  
صار قلبًا إن حواها حجرٌ  
يتلظى الكون من زفرتها  
وتُسيل القلبَ ماء في الصدور  
شعلةً في روحنا مثل الشقيق  
بيضَ التوحيدِ مُسودَّ البَشْرِ  
ليس إلا القلبَ قربٌ وابتعادُ  
وحدة القلبِ قوام الأمة  
قد هدى الأمة سُبُلَ العمل

قاده التوحيد شطر المنزل  
زورقُ الفكر أضلَّ الساحلا  
رمزُ توحيد لقلبٍ يُبصرُ<sup>٤٤</sup>  
فيجلى لك سرًّا أغفلا  
ويُرى الأيدُ به والمُكنةُ  
وتجلى عملا في العاشقين  
ويصير التُّربُ تَبْرًا يسطع  
فيردُّ العبدَ خلقًا آخرا  
دمه كالبرق فيه لاهبٌ  
عينه في الكون يَقْظى تعملُ  
جَرَّةُ السائل تُصبحُ جامَ جم<sup>٤٥</sup>  
«لا إله» اللحن في نغمتنا<sup>٤٦</sup>  
«لا إله» السمط من أفكارنا  
كل قلب لم تُنِزَه، مَدْرُ  
ويضيءُ القلب من وقديتها  
تصهر المرأة منه في الحرور  
كل ما نمتاره منها الحريق  
فأبو بكر أخوه وعمر  
وهذه الكأس بها هاج الفؤاد  
أشرقت سيناء من ذي الجلوة  
هذه الفكر بها والأمل

نزعةٌ واحدةٌ في قلبها  
لا يُجيد الفكرُ في قيثاره  
نحن في الإسلام أبناء الخليل  
أُممٌ قد عَبدتْ أوطانها  
أترى الأوطان أصل الأمم  
إنما الأنسابُ فخرُ السفهاء  
ضَمْنَا في الحق أسَّ آخِرُ  
قد خلصنا من حدود وقيود  
ضَمْنَا، كالزُّهر، نظم مضمُرُ  
وُحِدَ الرئيُّ لنا والفكرةُ  
نحن فكرٌ وخيال واحد  
نحن من نعمائه حِلْفُ إخاء

فَعيارُ الحسن والقبح بها  
دون نار الحق في أوتاره<sup>٤٧</sup>  
من «أبيكم» خذ إذا شئت الدليل<sup>٤٨</sup>  
وبنتٌ من نسب بنيانها  
تُعبد الأرض بها كالصنم؟  
حُكَمَا في الجسم، والجسمُ هباءُ  
هو في الألباب منَّا مضمُرُ  
قلبنا في الغيب إذ نحن شهودُ<sup>٤٩</sup>  
بصر ليس يراه مُبصرُ<sup>٥٠</sup>  
كسهام جمعتها جعبةُ<sup>٥١</sup>  
ورجاءٌ ومآل واحدُ  
قلبنا والروح واللفظ سواء

### في معنى أن الخوف والحزن واليأس أمهاتُ الخبائث<sup>٥٢</sup> وقاطعات طريق الحياة، وأن في التوحيد دواء هذه العلل الخبيثة

عُدَّة الموت قنوطٌ مُحيطُ  
إنما العيشُ رجاءٌ يُوصَلُ  
يأسك القبر إليه ترجع  
رُبَّت الخيبة في أكنافه  
أه من نوم الحياة المُخديرِ  
كحله في العين يُعمي البصرا  
نفسٌ منه سَمومٌ للحياه  
وهو للغمِّ حليفٌ وإصلُ  
يا سجينَ الغمِّ أبصرِ واسمعِ  
ذلك النصح سرى في قلبه  
إنما المسلم مثل الكوكبِ

والحياة الحقُّ أن «لا تَقنطُوا»<sup>٥٣</sup>  
فقنوطُ الحيِّ سَمٌ يَقْتلُ<sup>٥٤</sup>  
إن تكن أَلُونَدَ فهو المصرع<sup>٥٥</sup>  
ونما العجز على الطافه<sup>٥٦</sup>  
إنه آية ضعف العنصر  
ويزُد الصبح ليلًا أكدرًا<sup>٥٧</sup>  
كل ينبوع به جفَّ ثراه  
إنما الغمُّ لحيِّ قاتلُ  
من رسول الله «لا تحزن» ووعي<sup>٥٨</sup>  
فغدا الصديقُ صديقًا به  
باسمٍ في سعيه والدأبِ

حرَّ النفس من الغم ودَعُ  
 قوة الإيمان تُحيي فاعلمنْ  
 قلبه من «لَا تَخَفْ» قلبٌ سليمٌ  
 خوفٌ غير الله قَتَلَ العملِ  
 وبه العزم يخاف الغيِّرا  
 من نما ذا البذر يوماً في ثراهُ  
 فهو فلٌ وهو شادٍ يَعْرِفُ  
 يسرق الرجلَ قُوَى تسيارها  
 إن تجلَّى لعدوِّ خوفُكا  
 سيفه يزداد فتكاً في اليد  
 غلْنَا الخوفُ، وكم في بحرنا  
 إن أبى النغمة يوماً مزهركُ  
 فاعركُ الأذن يثُر فيه الغناء  
 كل شرٌّ في فؤاد يُضَمَرُ  
 من ديار الموت عينٌ قَدِما  
 عينه تلبيس آثار الحياه  
 يُزهَر الخبُّ به والمَلق  
 ثوبُهُ للزور سترٌ والريبُ  
 حُرِم الخوفُ طموحُ الهمة  
 إن عرفت الله، أغلال الطمع  
 وردَ «لَا خَوْفٌ عَلَيَّهِمْ» فاقْرَأ: ٥٩  
 حين يمضي نحو فرعونِ كليمٍ ٦٠  
 وهو للأحياء قطعُ السُّبُلِ  
 وترى المقدام منه حذرا  
 حَرَمْتُهُ من تجلِّيها الحياهُ  
 بيد شُلَّت وقلبٍ يَرْجِفُ  
 يسلب الرأس قوى أفكارها  
 هانَ كالورد، عليه قطفُكا  
 عينه فيك حسام لا يدي ٦١  
 من عُباب مائج في دهرنا  
 فمن الخوف تَنَدَّى وترُكُ  
 ويهزُّ اللحنُ آفاق السماء  
 أصله الخوفُ، إذا ما تُبَصِرُ  
 مثل ميم الموت قلبٌ أظلما ٦٢  
 أذنه تدليس أخبار الحياه ٦٣  
 ونفاق القلب منه يورقُ  
 حِجْرُه الفتنةُ فيه والحربُ  
 فهو خِدْنٌ لحليف الذلة  
 كلُّ مَنْ يفقه سرَّ المصطفى  
 يجدُ الإشراك في الخوف اختفى

## محاورة السهم والسيف

قال سهم مرهف يوم الزحامُ  
 يا مَنْ الجِنَّةُ في أعطافه  
 خالدًا صاحبت يَفري الفيلقا  
 قال للسيف وللحرب ضرام  
 ذو الفقار العضبُ من أسلافه! ٦٤  
 وعلى الشام نثرت الشفقا ٦٥



جَنَّةُ الْفَرْدوسِ مأوى ظَلِّكَا!  
حيثما كنت، بجسمي شُعَلْتِي  
بصُرتِ عيني بأحشاءِ الصُّدورِ  
ما به يأسٌ ولا خوفٌ مقيمٌ  
فكسوتُ الجِسمِ دِرْعاً من دمِ  
نورِهِ الظاهرُ ممَّا يُبطنُ  
وهي نَصلي كقطراتِ الندى

نارُ قهرِ الله في جوهريكا  
إنني في الجوّ أو في جَعْبَتِي  
وإذا القوسِ رمتني للثُّبورِ  
إن خلا الصدر من القلبِ السليمِ  
نفذَ النصلِ خِلالَ الأعْظَمِ  
وإذا حَلَّاهُ قلبٌ مؤمِنٌ  
ذابَ روحي من فؤادٍ وَقدا

### قصة السلطان عالمكير والأسد<sup>٦٦</sup>

من بني تيمور فخرِ الدولِ  
ولحكم الشرع فيه حُرْمَةٌ  
في زيادِ الكفرِ عن مَلَّتِنَا  
فنما في طبعِ دارا يُزهر<sup>٦٧</sup>  
وبدت أمتنا رهناً فسادُ  
زاهد ربُّ حُسامِ مُصلتِ  
اجتباها أجلَ تجديدِ اليقينِ  
وأُنازِ الدينِ في هذا الظلامِ  
فكرهم عن قصده قد قصَّرا  
في لظىِ الحقِّ فَرأشاً يرتمي  
زهده من قبره قد ظهر<sup>٦٨</sup>  
زينة العرشِ المليكِ الماجد<sup>٦٩</sup>  
معه من جنده نو ثقة  
سامعاً تسبيحِ طيرِ في الشجرِ  
من مجازِ حثِّ للحقِّ خُطاه  
صوتُهُ يرعدُ منه الفلكُ  
وعلى السلطانِ أهوى البُرثنا

إنَّ عالمكيرِ عالي المنزلِ  
كان للإسلامِ منه عِزَّةٌ  
أخرُ الأسمِهم في جَعْبَتِنَا  
عَرَسَ الإلحادِ فينا أكبرُ  
وخبا في الصدرِ مصباحِ الفؤادِ  
فتولَّى الهندِ في ذي المحنةِ  
اجتباها الحقُّ للدينِ المبينِ  
أحرقَ الأُلحادَ من برقِ الحُسامِ  
حرَّفَ الجُهَّالِ عنه ما جرى  
كان إبراهيمِ بيتِ الصنمِ  
كان في الأملاكِ فرداً خيراً  
ذاكم المَلِكِ الفقيرِ الجاهدِ  
سار صبباً مُوغلاً في عَيْضَةِ  
في نسيمِ الصبحِ نشوانِ حَطَرِ  
وأمحى السلطانِ في شوقِ الصلاةِ  
وأتى ليثَ مَهيبٍ فَتِكَ  
شمَّ ريحِ الإنسِ بُعدا فدنا

فإذا الخنجر منه في اليد  
 لم يفزَع قلبه بالبغته  
 ثم للحق دعاه الولهُ  
 مثل ذا القلب الذي لم يَهِن  
 إنما العبد أمام الحق «لا»  
 أيها الغافل! قلبًا حصلاً  
 ابذل النفس تَنَلْهَا لا مفرَّ  
 أحرقن بالعشق خوفًا وانهدًا  
 باقرًا كالبرق بطن الأسد  
 خال ليث الغاب ليث الصورة<sup>٧٠</sup>  
 في صلاة الوجد معراجٌ له<sup>٧١</sup>  
 داره بالحق صدر المؤمن  
 وهو للزور «نعم» لن يبطلًا<sup>٧٢</sup>  
 هيئنن للجبِّ هذا المحملاً<sup>٧٣</sup>  
 ذلٌ للحق تنل عَزَّ الدهر  
 حملاً في الحق ليثًا للعدى  
 إنَّ خوف الله إيمانٌ جلي  
 ثم تقوى غيره شرك خفي

## الركن الثاني الرسالة

تارك الأفل، من قبل الخليل  
 إنه لله فينا آية  
 «طَهَّرَا بَيْتِي» إليه أنزلا  
 قفرةً من أجلنا قد عمَّرا  
 «تُبَّ عَلَيْنَا» نضرت زهرتها  
 صور الرحمن منَّا هيكلًا  
 أحرَّفًا كنا ولسنا كلما  
 بالرسالات بدا تكويننا  
 ذاك من «يهدى إليه من يريد»  
 حلقة ذات محيط يُعجزُ  
 نحن ممَّا جمَّعتنا أمَّة  
 موجنا في بحرها متَّصل  
 أمة في حرز سور الحرم  
 إن تحقق ممعنا في كلمي  
 هو للرُّسل على النهج دليل  
 رُبِّيت في قلبه ذي الملة  
 بعد سيل من دموع سُيلا<sup>٧٤</sup>  
 وبني البيت الذي قد طهَّرا  
 فنمت في أرضنا روضتها<sup>٧٥</sup>  
 وحباه الروح مما أنزلا  
 فتألفنا كبيت نُظما  
 شرعنا منها ومنها ديننا  
 حلقة منها حوالينا يشيد<sup>٧٦</sup>  
 ساحة البطحاء فيها مركز<sup>٧٧</sup>  
 أرسلت للناس فيها الرحمة  
 موجة من موجة لا تُفصل  
 في حفاظ مثل أسد الأجم<sup>٧٨</sup>  
 نظرة الصديق ربَّ الفهم

فالنبي الروح فينا والعصبُ	وإلى القلب من الربِّ أَحَبُّ
سَفْرُهُ في القلب نبع القوَّة	شَرَعه حَبَل وريد الأُمَّة
قطع حبلٍ منه للموت رديف	كذبول الورد في ريح الخريف
حيَّتِ الأُمَّة من ترياقه	صُبِحها نُورٌ من إشراقه
وَحَدَّ المرسلُ فينا النعْمَا	والطوايا والمُنَى والألْمَا
كثْرَةُ الأُلُف عَيْنُ الوحدة	ومن الوحدة نَشء الأُمَّة <sup>٧٩</sup>
وحدة القصد حياة الكثرة	مقصد المسلم دين الفطرة
عَلَّمَ الفطرة خيرُ الرُّسلِ	فمضينا للهُدى كالشُعَلِ
بحره أخرج هذا الجوهرَا	نحن روحٌ واحدٌ منه سَرى
هذه الوحدة ما لم تَفْقِدِ	تحفظ المسلم حتى الأبيدِ
ختم الله علينا شِرْعَتَهُ	وعلى المرسلِ فينا بعثتَهُ <sup>٨٠</sup>
محفل الأيام منا يَبْسُمُ	خُتِمَ الرُّسلُ بنا والأُممُ
خدمة الساقى إلينا صرفَا	جامَه الأَخِرَ فينا خَلْفَا
لا نبيُّ بعدُ» فضلٌ عُرِفَا	إنه حرمةٌ دين المصطفى <sup>٨١</sup>
إنه قوة هذي الملة	إنه سرُّ اتحاد الأُمَّة
كلُّ دعوى بعدها للأقنِ	أَحْكِم الإسلامُ طولَ الزمنِ

ما سوى الحق قلناه المسلم

قائلًا: «لا قوم بعدي» فاعلموا

### في بيان أن مقصود الرسالة المحمدية تمكين الحرية والمساواة والأخوة بين البشر

عبد الإنسانُ أصنامَ البَشَرِ	فهو في عُدْمٍ وذلٍّ محتقر
قيصر العَسْفِ وكسرى قيِّدا	منه جيدا ثم رجلاً ويذا
ومن القسَّيس والمَلِكِ طِلابُ	بخراج الحقل، والحقلُ خرابُ
نصب الأَشْرَاقِ للصيد الضرَعُ	بائع الجِنَّةِ أُسْقِفَ الخُدَعُ
حقله قد عاث فيه البَرَهْمَنُ	ومجوسٌ أحرقت ما قد خَزَنُ

أضعف الرقُّ لديه الهممًا      لَحْنُهُ فِي عَوْدِهِ سَالَ دَمًا

\* \* \*

وَأَمِينًا بَعَثَ الْمَوْلَى بِهِ      سَلَّمَ الْحَقَّ إِلَى أَصْحَابِهِ  
رَفَعَ الْعُبْدَانَ بِالْحَقِّ إِلَى      سُرُرَ الْخَاقَانَ وَالزُّورَ قَلَى  
بَثَّ فِي بَرْدِ الرَّمَادِ الشُّعْلَا      فَعَلَى بَرُويزَ فَرِهَادُ عَلَا<sup>٨٢</sup>  
سَلَبَ السُّلْطَانَ حِزْبَ الْأَمْرَيْنِ      فَسَمَا بِالْحَقِّ قَدْرُ الْعَامِلَيْنِ  
عَزَمَهُ هَدَى قَدِيمَاتِ الصُّورِ      وَبَنَى حَصْنًا جَدِيدًا لِلْبَشْرِ  
بَثَّ رُوحًا حَيَّتَ الْمَوْتَى بِهَا      وَافْتَدَى الْأَعْبُدَ مِنْ أَرْبَابِهَا  
مَوْلِدَاتٍ بِهِ الْعَصْرَ الْقَدِيمِ      وَبِيوتِ النَّارِ وَالوِثْنِ حَطِيمِ  
أَزْهَرَ التَّحْرِيزُ فِي رَوْضَتِهِ      هَذِهِ الصَّهْبَاءُ مِنْ كَرَمَتِهِ  
عَصَرْنَا اللَّأْلَاءُ فِي أَنْوَارِهِ      فَتَحَ الْأَعْيْنَ فِي أَحْجَارِهِ<sup>٨٣</sup>  
خَطَّ فِي الْعَالَمِ سَطْرًا مُبْدَعًا      أُمَّةً فَاتِحَةً قَدْ أَبْدَعَا  
صَدْرُهَا مِنْ وَقْدَةِ الْحَقِّ أَضَاءَ      ذَرَّةً مِنْهَا أَنْارَتْ فِي ذُكَاةِ  
أَشْرَقَ الْكُونَ بِهَا إِذْ يَبْتَنِي      كَعْبَاتٍ مِنْ بِيوتِ الْوِثْنِ  
وَلِدَتَهَا الْأَنْبِيَاءَ الْقُدُمِ      فَإِذَا الْأَتْقَى لَدَيْهَا الْأَكْرَمِ  
إِخْوَةٌ فِيهَا جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>٨٤</sup>      طِينِهَا حَرِيَّةٌ فِي الْعَالَمِينَ  
الْمَسَاوَاةَ لَدَيْهَا فِطْرَةٌ      وَمِنَ التَّمْيِيزِ فِيهَا نَفْرَةٌ  
نَسَلَهَا كَالسَّرِ حَرٌّ قَدْ عَلَا      عَهْدُهَا أَحْكِمَ مِنْ «قَالُوا بَلَى»<sup>٨٥</sup>

سجدة الحق بسيماها غرر

قبَلُ النُّجْمِ ثَرَاهَا وَالْقَمَرِ

### قصة أبي عبيد وجابان في معنى الأخوة الإسلامية<sup>٨٦</sup>

مُسْلِمٌ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ أَسْرَ      قَائِدًا مِنْ جَيْشِ كَسْرَى ذَا خَطْرَ  
قَائِدٌ رَبُّ خِدَاعٍ مَآكِرُ      عَجَمَ الْأَيَّامَ ذَنْبُ غَادِرِ  
لَمْ يَعْرِفْ أَسْرِيهِ بِاسْمِهِ      أَوْ يَحْدِثُ أَحَدًا عَنْ وَسْمِهِ  
قَالَ لِلْأَسْرِ: يَا ذَا الْكِرَمِ      أَمَنْنِي، ذَاكَ شَأْنُ الْمَسْلَمِ

وضع الجندي في الغمد الحسام  
 وخبّت في الحرب نيران العجم  
 فإذا المأسور جابان الكبير  
 أقبل الجند بصوت قارع  
 بو عبيد قائد العزب الأبّي  
 قال يا قوم: ألسنا المسلمين  
 من أبي نرّ علت أو حيدر  
 كلّ جنديّ أمين الملة  
 إنّ جابان عدوّ غشيم  
 دمه اليوم عليكم حرمًا  
 أمة المختار! أوفوا الذمّا

### قصة السلطان مراد والعمار<sup>٨٩</sup> في معنى المساواة الإسلامية

أخرجت أرض حُجند صانعا  
 صانعا فرهاد حقا ولدا  
 غضب السلطان من تقصيره  
 قدحت عين المليك الشررا  
 سار للقاضي حزينًا يجأر  
 قال: يا من قوله الحق المبين!  
 لست للسلطان عبدا فاسمع  
 قرع الحاكم سنّ المبلّس  
 فأتى السلطان يخشى ذنبه  
 عينه من خجل للقدم  
 وقف الخصمان: خصم يشتكي  
 جهر السلطان: إني نادم  
 وتلا القاضي: حياة في القصاص  
 نال في التشييد صيتا ذائعا  
 لمراد مسجدا قد شيّدا<sup>٩٠</sup>  
 لم ير الإتقان في تعميره  
 ويد المسكين فورا بترا  
 دمه من يده ينهمر  
 يا حفيظا شرع خير المرسلين!  
 حگم القرآن فينا واقطع<sup>٩١</sup>  
 ودعا السلطان نحو المجلس  
 هيبّة القرآن تُدمي قلبه  
 وعلى خديه لون الندم  
 وخصيم في ثياب الملك  
 لا أرد الحق إني جارم  
 ذاك قانون حياة، لا مناص

ليس دون الحرِّ عبدٌ مسلمٌ      وَحَدَّ المَعْمَارَ وَالمَلِكَ دُمُ  
سمع القرآن يُملي حكمهُ      فنضاً السلطانُ فوراً كمهُ<sup>٩٢</sup>  
إذ رأى الخصمُ الذي قد فعلاً      آيةَ الإحسانِ والعدلِ تلا<sup>٩٣</sup>  
قائلاً: لله أعفو وكفى      إنني أعفو لأجلِ المصطفى  
نَمْلَةٌ عَزَّتْ سُلَيْمَانَ القَوِيَّ      انظرن سطوةَ قانونِ النبيِّ  
جمع القرآنُ مولَى وفتاه  
وذوي التيجانِ سَوَى بالرعاہ

### في بيان أن الأمة الإسلامية مؤسسة على التوحيد فلا تحدُّها الأمكنة

قلبنا الخفاق يأبى موطنا      ريحه العاصف تأبى مسكنا<sup>٩٤</sup>  
ليس من هند وروم قلبنا      ما سوى الإسلام فيه أرضنا  
كعبُ الشاعر في خير العباد      أنشد المدحة من بانث سعاد<sup>٩٥</sup>  
نظم الدرَّ منيراً في ثناه      من سيوف الهند سيفاً قد دعاه<sup>٩٦</sup>  
من على الأفلاك فيه رفعة      لم ترقه لبلاد نسبة  
قال: سيف من سيوف الله قل      يا نصير الحق زوراً لا تقل  
وكذاكم قال ذو القدر العلي      من سناه كحل عين الرسل:  
لي من دنياكم قد حُبِّبَا      بعض ما فيها حلالاً طيباً<sup>٩٧</sup>  
إن تكن سرَّ المعاني تعلم      فافهم النكتة في «دنياكم»  
كان في الدنيا وفيها ما سَكُنْ      ذلك المشرق في ليل الزمن  
من سناه قد تجلَّى العالم      مُشرقاً إذ كان طيناً آدم  
لست أدري ما حماه والوطن      أنا دارٍ أنه فينا سكن<sup>٩٨</sup>  
قد رأى في أرضنا دنياً لنا      وهو في الدنيا كضيف بيننا  
إذ أضعنا القلب في هذا الباب      وفقدنا النفس في هذا التراب  
لا تحدُّ الأرض قلبَ المسلم      لا يرى في تيه أنى وكم<sup>٩٩</sup>  
ليس للمسلم في الأرض عطن      حائرٌ في قلبه كلُّ وطن<sup>١٠٠</sup>  
حصِّل القلبُ ففي وَسْعَتِهِ      ضلَّ هذا الكونُ في فسحته

عقدة الأقوام حلَّ المسلمُ  
أمةً ملء الدُّنَى قد أسَّسا  
صارت الأرض لدينا مسجداً  
ذلك المحمودُ في الذكر الحكيمُ  
تفزع الأعداء من هيبتِهِ  
فلماذا أرض أهليه هجر؟  
حجبَ القصَّاصُ معنى القصَّةِ  
هجرةً شرعُ حياة المسلمِ  
إنها التسيار نحو الوُسعةِ  
اهجر الزهرة أجلَّ الروضةِ  
شرفُ الشمس مسيرُ مطلقُ  
لا تكن نَهراً من السُّحبِ يُمَدُّ  
اقصدن تسخير كلِّ العالمِ  
لا يقيِّدك مُقامُ في الورى  
كل مَنْ حُرِّر من ذلِّ الجهاتِ  
ترك الوردَ شذاه فسرى  
يا أسيراً قد ثوى في روضةِ  
سَيِّرُنْ نفسك حرّاً كالصِّبَا

احذرن من خدعة العصر الجديد

التباس النهج حاذر يا رشيد

### في بيان أن الوطن ليس أساس الأمة

قطَّعوا الأرحام بين الأخوةِ  
قدَّسوا الأوطان إعجاباً بها  
طلبوا الجنة في «بئس القرار»  
محق الجنة هذا الشجرُ  
صَيَّرُوا الأوطان أسَّ الأمةِ  
قسَّموا الإنسان أسراباً بها  
«فأحلُّوا قومهم دارَ البوار»<sup>١٠٣</sup>  
ليس إلا الحربَ فيه ثمرُ

أنكر الإنسانُ وجهَ الإخوةِ  
 ذهب الإنسانُ روحًا وانقضى  
 منصب الدين حواه الساسة  
 دين عيسى بطلت قصتهُ  
 عجز الأسقف عن تقديره  
 قوم عيسى حقروا بيعته  
 مزق الدهريُّ ثوب المذهب  
 ذا الفُلُورنسيِّ عبدُ الوثن  
 خطَّ للأملاك سفرًا منكرًا  
 مزق الحقُّ بحدِّ القلم  
 آزرَ العصر، بدا تزويره  
 جعل الملك إلها دينه  
 جعل النفع عيار الذمم  
 صارت الحيلةُ فنًا مُحكما  
 خطةً للوهن فينا حبكًا  
 وانتَهت قصةُ الإنسانِيةِ  
 بقيت أقوامه وهو مَضَى  
 فنمت في الغرب هذي الآفةُ  
 وخبث في دُوره سُعلتُهُ  
 حادت الأزلام عن تدبيره  
 أبطلوا في سوقهم سِكتَهُ  
 ومن الشيطان قد وافى نبي  
 كحلُّه أودى بنور الأعين<sup>١٠٤</sup>  
 وبيدورَ الحرب فينا بذرا  
 فطرةً تؤثر عيش الظلم  
 خطةً بدعًا جلا تفكيره  
 كل قبح ناله تحسینه  
 حينما خرَّ لهذا الصنم<sup>١٠٥</sup>  
 ونما الباطل ممَّا علما  
 في طريق الدهر ألقى حَسكًا  
 أرمد الناسَ بهذي الحكمة  
 إذ دعا التزوير بالمصلحة

### في بيان أن الأمة المحمدية ليس لها حدود زمانية أيضًا

أرأيت الطير في عُرس الربيع  
 وعروسُ الزهر نَشوى النَعَم  
 غسل العشبَ دموعُ السحرِ  
 وإذا الكُمَّ على الغصن ربًا  
 دَمى البرعمُ من قطفته  
 عشش الورقُ وطار البلبِلُ  
 ليس يُكرى من ربيع رونقُ  
 وهياجُ الكمِّ والوردِ الينيعُ  
 وعلى الأرض قُرى من أنجم  
 وشدا الماء لنوم النهارِ  
 منحته حِجرها ريحُ الصِّبا  
 ومضى كالريح عن روضته<sup>١٠٦</sup>  
 وشذى فرَّ وطلَّ ينزل<sup>١٠٧</sup>  
 حين تزدوى زهرات تَعْبِقُ



لا يُبالي كَنْزُهُ ما يُهْلِك	محفل الأزهار باقٍ يضحك
هو أبقى من ورود وزهر <sup>١٠٨</sup>	موسم الأزهار أبقى في الدهر
معدن يُنمي ويُبدي الجوهر	لا يبالي جوهرًا قد كُسرا
أكؤُسٌ تؤخذ من دَنِّ الدهر	كم شروقٍ وغروبٍ، لا مقرًا!
تذهب الآماس والباقي الغد <sup>١٠٩</sup>	خمرةٌ من شربها لا تنفدُ
من مَسير الغدِ سيَّارِ القَدَمِ	ثابتٌ في الدهر تقديرُ الأممِ
يرحل الفرد وتبقى الأمة <sup>١١٠</sup>	يَسْفُرُ الجُلُّ وتبقى الصحبة
ثم ذاتٌ وصفاتٌ أحرُ	ولها عيشٌ وموتٌ أحرُ
تولد الأمة من قلبٍ جليلُ	ينشأ الفردُ من الطين القليل
ويعيش الفرد عَشْرَ سنين	نفس الأمة يُحصى بالمئتين
وحياة الشعب في حفظِ السننِ	وحياة الفرد روحٌ في بدنِ
موتٌ قومٌ تركُ قصدٍ للحياه	موت فردٍ نضبِ وريدٍ للحياه

\* \* \*

ولها يومًا قضاء يُحتمُّ	كلمات الفرد تفنى الأمم
أصلها الميثاق في «قالوا بلى» <sup>١١١</sup>	أمة الإسلام تأبى أجلا
«نحن نزلنا» لديها حجة <sup>١١٢</sup>	لا تخاف الموت هذي الأمة
بدوام الذكر دام الذاكر <sup>١١٣</sup>	دام نكرٌ ما أقام الذاكر
قال ربي عالمًا: «أن يطفئوا» <sup>١١٤</sup>	ذلك المصباح أنى يُطفأ؟
أمة يعشقها أهل القلوب <sup>١١٥</sup>	أمة الحق إلى الحق تُنيبُ
مصلتٌ من غمدِ أمال الخليل <sup>١١٦</sup>	مصلتٌ بالحق ذا السيف الصقيلُ
ليعيدَ الحقَّ حيًّا نطقه	ما سوى الحق محاه برقه
للكتاب اختارنا والحكمة <sup>١١٧</sup>	نحن للتوحيد أقوى حجة

\* \* \*

مخفيًا في صدره تاتاره	أضمر الدهر علينا ثارَه
ورمى بالطود من أثقالها	أطلق الفتنة من أحبالها
نظرة من طرفها قتلَ عممُ	فتنةٌ موطنها هامُ الأممِ
ليس للأمس بمثواها غدُ	ألفُ هؤلٍ في حشاها يرقُد

سُطُوَةُ الْإِسْلَامِ لِلتَّرْبِ هَوْتُ      مَا رَأَتْ بَغْدَادُ رُومًا مَا رَأَتْ  
لَكِنْ أَسْأَلُ ذَلِكَ الدَّهْرَ الْمُؤَلِّمَ      مَحَدَّثَ الْأَفْعَالِ ذَا الْمَكْرِ الْقَدِيمِ  
رَوْضَنَا كَانَ لَهَيْبِ التَّتَرِّ      حَلِينَا كَانَ نَثَارُ الشَّرْرِ<sup>١١٨</sup>  
فَلِإِبْرَاهِيمَ فِينَا فَطْرَةٌ      وَإِلَى الْمَوْلَى لَدِينَا نَسْبَةٌ  
مَنْ لَهَيْبِ قَدْ جَنِينَا زَهْرًا      نَارَ نَمْرُودٍ رَدَدْنَا كَوْثَرًا  
كُلَّ نَارٍ يُوَقِدُ الدَّهْرَ لَنَا      زَهْرَاتٌ حِينَ تَأْتِي رَوْضَنَا

\* \* \*

نَهَبَ الرُّومُ وَفُضَّ الْمَوَكِبَ      شَرَقُهَا أَقْوَى وَأَقْوَى الْمَغْرِبِ  
كَأْسَ سَاسَانَ مِنَ الْغَمِّ دَمٌ      حَانَ يُونَانَ خَرَابٌ مُظْلَمٌ<sup>١١٩</sup>  
وَعَنْتُ مِصْرَ لِدَهْرٍ عَرِمٍ      وَثَوْتُ أَعْظَمُهَا فِي الْهَرَمِ  
وَأَذَانَ الْحَقِّ فِينَا خُلْدًا      أُمَّةُ الْإِسْلَامِ تَبْقَى أَبَدًا  
إِنَّ لِلْكَوْنِ مِنَ الْعَشْقِ حَيَاهُ      وَبِهِ أَجْزَاؤُهُ شَدَّتْ قُؤَاهُ  
أَحْيَيْتِ الْعَشْقَ قَلُوبٌ تُسَعِّرُ      شَبَّهَا مِنْ، لَا إِلَهَ، الشَّرْرِ<sup>١٢٠</sup>

إِنَّ نَكْنَ كَالِكَمِّ نُطَوَى كَمَدًا

فَرَدَانَا فِيهِ لِلرُّوْضِ رَدَى<sup>١٢١</sup>

### في بيان أن الأمة لا تنتظم بغير شريعة وشريعة الأمة المحمدية القرآن

أُمَّةٌ خَلَّتْ يَدَاهَا السُّنَنَّا      كَكَثِيبٍ مِنْ رِمَالٍ وَهَنَّا  
سِيرَةُ الْمُسْلِمِ شَرَعٌ وَكَفَى      ذَلِكُمْ بَاطِنُ دِينِ الْمُصْطَفَى  
بِانْتِظَامِ الصَّوْتِ تَعْلُو النِّعْمَةُ      وَهِيَ مِنْ دُونِ نِظَامِ ضَجَّةٍ  
إِنَّمَا فِي الْحَلْقِ مَوْجٌ مِنْ هَوَاءٍ      يَعْلَقُ النِّظْمُ بِهِ فَهُوَ غِنَاءُ  
صَاحٍ هَلْ تَعْلَمُ مَا سُنْتُكََا؟      أَيُّ سِرٍّ ضَمَنْتَ قَدْرَتِكََا؟  
الْكِتَابُ الْحَيُّ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ      حِكْمَةٌ فِي الدَّهْرِ تَبْقَى لَا تَرِيمُ  
إِنَّ فِيهِ سِرَّ تَكْوِينِ الْحَيَاهِ      يَسْتَمِدُّ النِّكْسُ أَيْدِيًا مِنْ قُؤَاهِ  
لَفْظُهُ لَا رَيْبَ أَوْ تَبْدِيلَ فِيهِ      أَيُّهُ لَا لَبْسَ أَوْ تَأْوِيلَ فِيهِ  
قُوَّةٌ فِيهِ تَشَدُّ الْخُورَا      وَبِهَا يَرْمِي الزَّجَاجُ الْحَجْرَا

قَطَعَ الأَشْرَكَ عن صيد كسير  
 ذا بلاغٍ آخِرٌ للمرسَلين  
 ترفعُ الخاملَ فيه رفعةٌ  
 قاطعو الطرُقِ هداةً صُيروا  
 والبوادي من سراج زَهرا  
 الذي يُصدَعُ منه الجبلُ  
 ذلك الينبوعُ من آمالنا  
 انظُرَ الظمآنُ في حرِّ القفازِ  
 عَنَسُه كالظبي في تَعَدَّائها  
 طائفُ الصحراءِ يأبى الجُدرا  
 خفقت في قلبه هذي السُورُ  
 قرأَ الدرسَ من الآيِ المبينِ  
 حكمَ الدنيا جميعاً عدلُه  
 مُدْنًا قد شَيَّدت هَبوتُه  
 فدعا الصيَّادُ منه بالثبورُ  
 قد تلاه «رَحْمَةٌ للعالمين»  
 وتقيمُ الرأسُ منه سجدةً  
 من كتابٍ، كم كتابٍ سَطَّروا  
 قد أضاءوا بالعلوم الفِكرًا<sup>١٢٢</sup>  
 وعلى الأفلاكِ منه وَجَلُ<sup>١٢٣</sup>  
 قد حواه الصدرُ من أطفالنا  
 عينه حمراءُ من وَقَدِ النهارِ  
 دُمها كالنارِ في رمضائها  
 ضاربٌ في البيدِ يقلى الحضرا  
 فاستقر الموجُ فيه كالذُررِ<sup>١٢٤</sup>  
 فغدا بالحقِ حرًّا لا يَمينِ  
 عرشُ جَمٍّ ووطنته رجلُه<sup>١٢٥</sup>  
 ورياضًا أنبتت زهرتُه<sup>١٢٦</sup>

\* \* \*

إن إيمانك في قيد الرسوم  
 أمركم قطعتمو فهو «زُبُر»  
 سكر الصوفيِّ من أحواله  
 قلبه شعرَ العراقيِّ تلا  
 تاجه والعرشُ صوفٌ وحصيرُ  
 وأخو الوعظُ جُزافًا قائلُ  
 قوله من ديلمِيٍّ وخطيبُ  
 سنن الكفر لك السجنُ المقيمُ  
 مُسرعي السيرِ إلى شيءٍ نُكِرُ<sup>١٢٧</sup>  
 وانتشى باللحن من قوَّاله<sup>١٢٨</sup>  
 ومن القرآنِ أقوى وخلا<sup>١٢٩</sup>  
 فقره يَجِبِي رباطًا للفقيرِ<sup>١٣٠</sup>  
 كَلِمٌ عالٍ، ومعنى سافلُ  
 فعله حِلْفٌ ضعيفٌ وغريبُ<sup>١٣١</sup>

لكتاب الله حقًّا. فاقرآن

كل ما تبغيه منه فاطلبنُ

## في بيان أن التقليد في زمن الانحطاط أولى من الاجتهاد

طبعه خلقُ شرورٍ ومِحنُ  
صوّحت فيه حياة تنضُرُ  
وجفت نغمتها أوتارُنا  
نارَه والنورَ منّا سَلبا  
فمن التقليد للقوم نجاه  
ومن التقليد جَمعُ الأمة  
ارقب الغيث ولا تجفُ الشجر<sup>١٣٢</sup>  
يا قليل الماء واحفظ نهر<sup>١٣٣</sup>  
منه في مجراك لِحْ زاخِرُ  
إن تكن روحك روحًا مُبصره  
وعرثها في الخطوب المِحنُ  
كاد في أعراقها يَفنى الدم  
نكُرُ هارون وموسى في القلوب  
لم يزل في الصدر منها نَفْسُ  
حينما انفضَّ لديها المَحْفَلُ  
وخبأ في صدره شمعُ الحياه  
ومن التقليد أمسك بالعُرى  
يذهبُ الأقوام منه شذرا  
هو أولى، لا اجتهاد الغافلين  
طهرتُ أعمالهم كالأَنْفُسِ  
فعلهم أوفى بشرع المصطفى  
أين؟ والعُربُ هداةُ البشر  
وإدعى كلُّ لئيم سِرّه  
الزَمَنُ يا حُرُّ نهجًا واحدا  
أنما في الخلف مقرّاض الحياه<sup>١٣٤</sup>  
فمن القرآن روح المَلَّة

عصرنا هذا مليء بالفتن  
محفل الماضين فيه مقفر  
أنكرت أنفسنا أنظارنا  
شعلة التوحيد فينا سَلبا  
وإذا ما اعتلَّ تقويم الحياه  
سُننُ الآباء حَبْلُ المَلَّة  
يا خليًّا في خريفٍ من ثمر  
قد حُرمت البحر فاذا حُسركا  
فعسى سيلُ الجبال الهادرُ  
حالُ إسرائيلَ فيها تبصره  
انظرن كيف ابتلاها الزمنُ  
وجهها في كل حين يُلطمُ  
عصرت عنقودها كَفُ الخُطوبُ  
إن خبا في اللحن منها قَبسُ  
سار في إثر الجدود المحملُ  
يا من انفض له جمعُ وجاه  
آية التوحيد في القلب اسطرا  
اجتهادُ في زمان القهقري  
اقتداءً برسوم الأولين  
لم يُصب أبأؤنا بالهوس  
فكرهم كان رقيقًا مرهفا  
فكرُ الرازي ونجوى جعفر  
ضيق الدينُ علينا يسره  
قد جهلت الدين عنه حائدا  
باح لي بالسِرِّ نَبَّاض الحياه  
وحدةُ الشرع حياةُ الأمة

نحن طينٌ وهو قلب لا جَرَمٌ هو «حبل الله» من شاء اعتصم  
فانتظم في سلكه كالدرر  
أو غبارًا في الرياح انتثر

### في بيان أن كمال سيرة الأمة من اتباع الشرع الإلهي

لا تقلُ في الشرع معنىً مُضمَرٌ  
جوهرٌ أبداع فيه القادرُ  
ليس علمُ الحق غيرَ الشُّرعةِ  
شرعنا للفرد مِرعاةُ اليقينِ  
شِرعةُ الحق نظامُ الأممِ  
إن فيه الأيدِ يا من أخلصا  
قام للإسلام بالشرعِ قوامُ  
لك أبادي نكتةُ الشرع المبينِ  
إن يعارض ذو عنادٍ مسلما  
صار هذا النفلُ فرض الأمةِ  
وإذا جيش عدو في الوغى  
وقضى أوقاته في الدعةِ  
فحرام أخذَه بالبغتهِ  
سرُّ هذا الأمرِ يا ذا البصرِ:  
يتحدّك برضوى العالیهِ  
ويناديك أن اقصمَ ظهرها  
ليس كفاء اللئث في صولتهِ  
إن حكى الصعوةَ صقرُ كاسرُ  
كتب الشارُع ربُّ الحكمةِ  
يشحذ العزم بنار العملِ  
وإذا تلغَّب يعطيك القوى

ليس إلا النورَ تحوي الدرُّ  
جوهر باطنه والظاهرُ  
ليس غيرَ الحب أصلُ السنَّةِ  
ترتقي منه مقاماتُ اليقينِ<sup>١٣٥</sup>  
ومن النظم دوامُ الأممِ  
اليدُ البيضاء فيه والعصا  
بدوهُ الشرع وبالشرع الختام  
أنت من في حكمة الدين أمين:  
في أداء النفل ما إن لزما  
فالحياة الحق عين القدرةِ  
ترك الإعدادَ والسلمَ بغي  
تاركًا للحرب أخذَ العُدَّةِ  
قبل أن يأخذ كلَّ الأهبةِ  
الحياة العيشُ بين الخطرِ  
في امتحانِ لقواك العاتیهِ<sup>١٣٦</sup>  
وبحدِّ السيف فاصهر صخرها  
حملٌ يرجف في نلتهِ  
فهو كالصعوة وإه خائِرُ  
لك هذا اللوح، لوح القدرةِ  
ويرقِّيك لأعلى منزلِ  
ويربِّي منك طودًا ما حوى

إن دين المصطفى دينُ الحياه  
 إن تكن أرضًا يصيرُكَ السماءُ  
 يصقل المرآةَ من صخر شديد  
 ضيِّع القومَ شعارَ المصطفى  
 ذلك الغصن العسِّي المعتلي  
 الذي البطحاء أزكت غرسه  
 أذبلته اليومَ ريحُ العجم  
 قاتلُ الآساد ذبح الغنم  
 من أذاب الصخرَ من تكبيره  
 من علا الطودَ سريعًا مُصعدا  
 من برى الأعناق ضربًا عَضْبُهُ  
 موقظ الآفاق من خطواته  
 من أطاع الناس طرًّا أمره  
 رضي القُنع وأكدى جِدُّه  
 شيخنا أحمدُ من في قربه  
 قال يومًا لمريد فهم  
 فكرهم إن كان للنجم ارتقى  
 يا أخي فاسمع لهذا الرشدِ  
 وبعده الحق فاشدُّ قلبكا  
 واتبع العُربَ تُصب شرعتكا  
 شرعه للناس قانون الحياه  
 ويربِّيك كما الحقُّ يشاءُ  
 وينقِّي الرينَ من قلب الحديدِ  
 ضيِّعوا رَمز بقاءِ عُرفا  
 مُسلم الصحراء ربُّ الجَمَلِ  
 ورياح البعيد ربَّت نفسَه  
 صيَّرتَه النايَ رُوح العجم  
 وطءُ نملٍ مسَّه بالألم  
 راعه البلبل في تصفيره  
 غلَّ بالتكلان رجلا ويدا  
 يلدم الصدر ويَدْمى قلبه  
 قيَّدت رجلاه في خَلواته  
 واجتدى دارا وكسرى بره  
 وارتضى الكدية عزًّا جدُّه  
 تكسبُ الشمس سنًا من قلبه<sup>١٢٧</sup>  
 احذرُنْ يا صاح فكرَ العجم  
 فهو من سُنتنا قد مرَّقا  
 استمع نصح الإمام المُرشد

### في بيان أن حسن سيرة الأمة من التأدب بالآداب المحمدية

سائلٌ مثل قضاء مبرم  
 بالعصا صُلت عليه غضبا  
 إن هذا العقلَ في شرخ الشبابِ  
 ورأى الوالدُ فعلى فنفر  
 صاح بالباب بصوت مُبرم<sup>١٢٨</sup>  
 فهو من يده ما قشبا<sup>١٢٩</sup>  
 لا يبالي بضلال وصوابِ  
 وذوى في وجهه روض الزهر

أهة في فمه تلتهب  
 كوكب في عينه قد ومضا  
 روعي الغافل في الجسم ارتعد  
 مثل فرخ في الخريف انتفضا  
 قال لي الوالد: يومَ المحشر  
 العُزاة الغرُّ من أمته  
 والنجوم الزهُرُ أرباب الصفاء  
 وأولو العلم وأرباب القلوب  
 وعلا في لُجِّ هذا المحشر  
 أيها الحائر في ذا الموكب!

قد حباك الحق طفلا مسلما

لم تُنله من كتابي مغنما

هيِّن الأشياء قد شقَّ عليك

لم يَصِرْ ذا الطينُ إنساناً لديك<sup>١٤١</sup>

وأنا في العَتَب من خير الرسل  
 أفكرن في الأمر واذكريا بُني  
 لحيتي البيضاء في الحشر انظري  
 لا تزد عبء أبيك الوهن  
 أنت كم في فروع المصطفى  
 نظرة من روضه فالتمس  
 مرشد الروم الذي قطرته

لا تجدَّ الحبل من خير البشر<sup>١٤٢</sup>

لا تقل عندي فنون وبصر

فطرة المسلم طرّاً رافئة  
 العظيم الخلق من شق القمر  
 لست من معشرنا فاعتزل  
 طائر أنت على دوحتنا  
 قوله والفاعل كلُّ رحمة  
 رحمة عمت ونور للبشر  
 إن تكن منه بعيد المنزل  
 شدُّوه واللحن من نغمتنا

إن تكنْ ذا نغمة لا تُفرد      بسوى بستاننا لا تُغرد<sup>١٤٣</sup>  
كل من أوتي حظاً من حياه      في سوى بيئته يلقي رداه  
بلبل أنت؟ ففي الروض امرح      ومع السَّرب بلحنٍ فاصدح  
إن تكن صقراً فلا تغش البحار      ليس إلا خلوة الصحراء دار<sup>١٤٤</sup>  
أو تكن نجماً فنور في سماك      لا يكن مسراك إلا في الحباك

\* \* \*

قطر نيسان اجمعن إن ترد      واجعلن في الروض مأواه الندي<sup>١٤٥</sup>  
لتراه مثل قطرات الندى      تحضن الأكمام منها ولدا  
وانشف الأنداء من جواهرها      واسلب اللآء من عنصرها  
بشعاع الصبح وضاء البكر      الذي من سحره ينمو الزهر<sup>١٤٦</sup>  
لن ترى دُرَّك إلا كالحباب      لن ترى سعيك إلا في سراب  
ألقيها في اليمِّ تُعقد جوهرا      مأوها يسطع نجماً نيِّرا  
قطر نيسان عن اليمِّ نأى      لجفاف، لن تراه لؤلؤا

\* \* \*

طينة المسلم درُّ يا بُني      مأوها والنور من بحر النبي  
قطر نيسان! فغص في موجه      وابرزن، درًّا صفا، من لجه  
صاح! من شمس الضحى كن أنورا  
كن ضياءً ليس يخبو الدهرا

### في بيان أن حياة الأمة تحتاج إلى مركز محسوس وأن مركز الأمة الإسلامية البيت الحرام

عقدة تنحلُّ من أمر الحياه      حين أفشي لك من سرِّ الحياه:  
كخيال جفلت من نفسها      حرّة قد نفرت من حبسها<sup>١٤٧</sup>  
وقتها ما فيه أمسّ وغدُّ      في دُنَى الأوقات ليست تُصفدُ  
انظرن نفسك حيناً واعتبر      لست إلا جَوْلانًا يستمرُّ



من دخان فأشاعت سرّها  
 ليُرى السيرُ سكوناً في النظر  
 وتُرى في الغصن أزهارَ الشقيق<sup>١٤٨</sup>  
 طيرانَ اللونِ وردًا جُسمًا<sup>١٤٩</sup>  
 هو طيرٌ وهو لون طائر<sup>١٥٠</sup>  
 وهو في النوح لحنًا ينبس<sup>١٥١</sup>  
 يخلق الأسباب منه كلَّ حين  
 وتحلُّ العَقد في تجوالها  
 لتزيد السير في إهطاعها<sup>١٥٢</sup>  
 يومها ميلادُ أميسٍ وغدِ  
 كلَّ حين في اختراع وفنون  
 تنزل الصدرَ فتدعي نَفْسًا  
 حولها من خيطها عاقدة  
 مضمرة فيها فروع الدَّوْحَةِ  
 فإذا الدوحة منها تَظهر  
 فإذا عين وقلب ويد<sup>١٥٣</sup>  
 وتجلّي نشأة العمِّ الحياه<sup>١٥٤</sup>  
 مركزٌ فيه حياةٌ تنتظم<sup>١٥٥</sup>  
 نقطة، فيها محيط، ضامرة  
 ومن المركز للقوم دوام  
 لحننا والوجدُ فينا الحرمُ  
 روحنا الغالي، ونحن الجسد  
 حيٌّ من زمزمه بستاننا  
 نحن فيه من براهين الخليل<sup>١٥٦</sup>  
 واصلا مُحدّثنا بالقدمِ  
 فهي صبح قد حوى صدرٌ له  
 أُحكمت من وحدة قوتنا<sup>١٥٧</sup>

شعلة فيها أعدت سترها  
 ماؤها قد عقدته في دُرر  
 نارها في نفسها تُخفي الحريق  
 فكرك العاجز عنها أوهما  
 ما أوى للعُشّ هذا الطائرُ  
 هو حرٌّ وحواه مَحْبِسُ  
 ريشه ينسل طيرًا كل حين  
 عُقدًا تعقد في أعمالها  
 تسكن الطين على إسراعها  
 كم لحون في جواها رُقِدِ  
 في سهول كلَّ حين وحزون  
 إن تكن كالريح تأبى محبسا  
 حولها من خيطها ناسجةٌ  
 هي في العُقدة مثلُ الحَبَّةِ  
 تفتح العين على ما تُضمّر  
 خلعة الطين عليها تُرفد  
 تؤثر الخلوّة في الجسم الحياه  
 هكذا سنّة ميلاد الأمم  
 إنما المركز روح الدائرة  
 ومن المركز للقوم نظام  
 نقطة المركز منّا الحرم  
 نَفْسٌ في صدرنا يتّقد  
 من نداءه نُضرت أغصاننا  
 نحن من دعواه في الدنيا دليل  
 صوتنا يندى به في الأمم  
 وحّد الملة طوفٌ حوله  
 وحّدت في حَسْبِهِ كثرتنا

إِنَّ فِي الْجَمْعِ حَيَاةَ الْأُمَّمِ      إِنَّ هَذَا الْجَمْعَ سُرُّ الْحَرَمِ

\* \* \*

أيها المسلم يا ذا البصرا!      قوم موسى عبرة فاعتبر  
زهدا في مركز قد جمعا      فتراهم في البرايا قطعاً<sup>١٥٨</sup>  
يا عليلاً شاكياً جور الزمن      يا أسيراً غلّه وهُم وظنّ  
اجعلن ثوبك ثوب المحرم      أطلع الصبح بليل مُظلم  
افن كالآباء ما بين السجود      اسجدن حتى تُرى عين السجود<sup>١٥٩</sup>  
من خشوع المسلمين الأولين      سيطروا بالحق بين العالمين  
في سبيل الحق شوگًا وطئوا  
فإذا الروضة هذا الموطئ

في بيان أن الاجتماع الحقيقي من الاستمساك بمقصد،  
ومقصد الأمة الإسلامية حفظ التوحيد ونشره

اعرفن عني لسان الكائنات      ففعال الكون فيها كلمات  
ينظم المقصدُ أشتات الحياه      فتراها «مطلعاً» راع الرواه<sup>١٦٠</sup>  
طرفنا من تحت مهماز الطلب      صرصر ما ندّ عنه من أرب  
إنما يُبقي الحياه المقصد      هو أشتات قواها يَنْضدُ  
حينما تدري الحياه المطلبا      تجعل الكون إليه سببا  
وبه الأشياء طرّاً تنقُد      فتردّ الشيء أو تعتقد<sup>١٦١</sup>  
يُبحر الرّبّانُ أجلَ الساحل      وإلى المنزل سَيرُ السابل  
وعلى قلب الفراش الحُرُق      لسراج حوله يحترق<sup>١٦٢</sup>  
طاف قيس في الصحاري ولها      قاصداً ليلاه يرجو وصلها  
ما اقتفينا في الصحاري أثراً      منذ ليلانا أقامت في القرى  
إنما المقصودُ روح العمل      كيفه والكمّ منه تجتلي<sup>١٦٣</sup>  
دورانُ الدم في أعراقنا      مسرعٌ بالجدّ في أغراضنا  
الحياه الحق منه تستعز      تجمع النار به مثل الشقر<sup>١٦٤</sup>

هو مضرابٌ لَعُودِ الهَمَّةِ  
 حرَّكَ الأَعْضاءَ في ركبِ البشرِ  
 فكُنَ المَجنونَ في هذا الحَبِيبِ  
 أبدأَ القَميَ فيما أسمعَا  
 رامَ نَقشَ الشوكِ حينًا رَجُلُ  
 لحظةً يا صاحبي إن تغفَلِ  
 ناكُمُ العالَمُ دَيْرُ قَدُما  
 كَمَ وكمَ يُنبتُ من مقصِبَةِ  
 كمَ تدمَّتُ من يديه روضَةٌ  
 كمَ تُرى نَقشًا وكمَ تمحو يداه  
 كمَ من الأرواحِ بُتَّتْ أَنَّهُ  
 ورجالَ الزورِ دهرًا رَبِّبا  
 ثمَ في طينِكَ إيمانًا بذرِ  
 نِقْطَةُ دارِ عليها العالَمُ  
 قوَّةَ فيها تُديرُ الفَلَكَا  
 لؤلؤُ البحرِ نما من نورها  
 نَفَحها صَيَّرَ طينًا سَنبُلًا  
 في عروقِ الكرمِ منها شُعلةُ  
 لحنها في مَزهرِ الكونِ استترِ  
 نغماتُ فيكَ تَسري كالدمِّ  
 كلمةُ التوحيدِ منك المقصدِ  
 الجهادِ المرُّ حِلْفُ المسلمِ  
 أنتَ لا تدري بآياتِ الكتابِ  
 أنتَ في الأيامِ نورٌ وبَصَرُ  
 ادعونَ كلَّ لَبِيبِ، أبلِغِ  
 قوله ما فيه نُطْقُ عن هوى  
 نَبَضُ هذا الكونِ قد جَسَّتْ يداه

مركز يجذب كل القوَّة  
 جامعًا شتى عيون في نظر<sup>١٦٥</sup>  
 طُفُّ به طوف فراش باللَّهيبُ  
 علَّمَ الأوتارَ معنى مُبدعًا<sup>١٦٦</sup>  
 فاختفى عن ناظريه المحمَلُ  
 ألفَ ميل زاد بُعدَ المنزلِ  
 بامتزاجِ الأمهاتِ انتظما<sup>١٦٧</sup>  
 ليراعِ فيه نارِ النوحَةِ  
 لِتُرَبِّيَ من شقيقِ زهرة<sup>١٦٨</sup>  
 ليُرَى نَقشُكَ في لوحِ الحياهِ  
 لِتُعالَى من أذانِ نغمة<sup>١٦٩</sup>  
 وعلى الأحرارِ والى الحرِّبا  
 كلمةُ التوحيدِ من فيكَ نَشْرُ  
 كلمةُ صارَ إليها العالَمُ  
 وبها الشمسُ تُنيرُ الحَلَكَا  
 وبه الموجُ ظما من نورها  
 وَجَدُها صَيَّرَ ريشًا بلبلا<sup>١٧٠</sup>  
 وبطينِ الكأسِ منها لمعةُ  
 أيها العازف! يدعوك الوترُ  
 أَعْمَلِ المضرابَ في ذا النغمِ  
 أنتَ للتكبيرِ فيها توجد<sup>١٧١</sup>  
 أو يُدويُّ الحقُ بين الأممِ  
 أمةُ العدلِ يسمِّينا الخطابِ  
 شاهدَ أنتَ على كلِّ البشرِ<sup>١٧٢</sup>  
 وعن الأمِّيِّ قولًا بَلِّغِ  
 صادقُ ما ضلَّ يومًا أو غوى<sup>١٧٣</sup>  
 فتجلَّى سرُّ تقويمِ الحياهِ

نَضَّرَ الأزهارَ في رَوْضِ الدَّهْرِ      ومحا الأُدناسَ عنها والكَدْرُ  
 دينه فيه الحياة الخالده      لا تراها عن هُداه حائده  
 أيها التالي الكتاب المنزَّل      شمَّرن، لا تقَعُدن عن عمل  
 يعشق الأصنامَ عقلُ الأمم      ناحتُ أو عابدٌ للصنم  
 هو أحياءُ سُنَّةً من أَزْرا      محدِّثًا فيها إلهاً للورى  
 اسمه لون ودار ونسب      هو من سفك دماء في طرب<sup>١٧٤</sup>  
 وَعَلَى أقدام هذا الصنم      ذُبِحَ الإنسانُ ذبح الغنم  
 أيها الشارب من كأس الخليل!      يا حميَّ النفس من طاس الخليل!  
 سيفَ «لا موجود إلا هو» خذ      وبه الأصنام هذي فاجذذ  
 في ظلام الدهر أشْرِقْ للملا      وانشرن حقًا عليك اكتملا<sup>١٧٥</sup>  
 خجلتًا لك في اليوم العسيرُ      حينما يسألك الهادي البشيرُ:  
 قد أخذت الحق عني ما دهاك  
 لم تَبْلُغه بحق لسواك!

### في بيان أن توسيع حياة الأمة بتسخير قوى العالم

مؤمَّنًا بالغيب غير الغافل!      كارها كالسيل قيد الساحل!  
 اعلُ عن ذا الطين غصنًا ناضرًا      وصلِ الغائبَ واغزِ الحاضرا  
 ذلك الحاضر تفسير الغيوبُ      وهو مفتاح لتسخير الغيوبُ  
 ما سوى الله لتسخير العملُ      صدره للرمي، فاقذف لا تُبلُ  
 ما سوى الله تراه يُخَلِّق      لترى سهمك فيه يمرق<sup>١٧٦</sup>  
 عقدة تلقاك بعد العقدة      ليُرَى في الحلِّ لطف الحيلة  
 فسرَن يا كِمُّ! روضًا نفسكا      سخرن يا طلُّ! ذي الشمس لكا  
 من يسخر عالم الحسِّ سما      ومن الذرة يُخرج عالما  
 كل ما في الكون من بحر وبرِّ      لوح تعليم لأرباب النظر  
 أيها النائم طالت غفلته      عالم الحس جفته همته  
 قم وفتِّح بصرًا قد سُكِّرا      لا تحقِّر عالما قد حُقِّرا

إنه توسيعُ ذاتِ المسلم  
هو يبلوك بسيفِ الزمنِ  
أضرب الصدر بفهرِ القوةِ  
جعل الحق الدُّنَى للخَيْرينِ  
هذه الدنيا طريقِ الطَّعَنِ  
فأسرَّنها قبل أن تأسرَكا  
أدهمُ الفكر الذي يطوي الفضاء  
ساقه في الكون حاجاتُ الحياه  
يبتغي في الكون تسخيرِ القوى  
نائبُ الحق، بحق آدم  
لك من ضيقك منها سعة  
سهوةُ الريح اعلوَّنها أمرًا  
شقَّ قلب الطود عن جوهره  
ألفُ كون في فضاء تُكفَّتُ  
بشعاعٍ أظهرنُ ما احتجبا  
من شعاعِ الشمس نارًا فاقبس  
ثابتُ الأنجم أو سيَّارها  
كلُّها يا صاح عبداً لكا  
سيَّرنُ فكرك فيها عَسَسًا  
افتح العينَ وأنعمَ نظراً  
كم ضعيفٍ في قوِّي أمرًا  
أيها المقصود من أمر «انظروا»  
قطرةٌ من نفسها ذاتُ حَبَزٍ  
وهي في البحر تراها جوهرًا  
كالصِّبَا لا تهفُّ حول الصُّورِ  
دون مضرابٍ لحونًا سيَّرا  
أيها الظالع في حَزَنِ الحياه

وامتحانٌ لصفاتِ المسلم  
لترى أن دمًا في البدنِ  
اختبر عظمك في ذي الصدمة  
وجلاها لعيون المؤمنين  
هذه الدنيا محكُّ المؤمن  
لا تُضعُ في جوفها جوهرَكا  
والذي يجتاز آفاق السماء  
فهو في الأرض وفي النجم خُطاه  
لتُرى فيه بأعلى مستوى  
حكمه في الأرض ما ض حاكم<sup>١٧٧</sup>  
ولأعمالك فيها فسحةٌ  
ألجمنُ هذا الجوادَ الناфра  
شقَّ موج البحر عن درِّ به  
رُبَّ شمسٍ قد حوتها ذرَّةٌ  
واكشفنُ عن كلِّ سرٍّ حُجبا  
ومن السيل بروقًا فاخليس<sup>١٧٨</sup>  
التي قد عُبدت أنوارها  
وإماءٌ سخَّرت من أجلكا  
سخَّرن آفاقها والأنفسا  
أبصرن في الراح معنَى مُضمرًا  
حين في الكون أجال البصرا  
كيف في آفاقها لا تنظر؟<sup>١٧٩</sup>  
خمرةٌ في الكرم، طلُّ في الزَّهر  
جوهراً كالنجم في الليل سري  
اطلبن في الروض معنَى الزَّهرِ  
ومن الأحرف طيِّراً طيِّراً<sup>١٨٠</sup>  
أيها الغافل عن طعنِ الحياه

بَلَّغَ السَّعْيِ الرَّفَاقَ الْمَنْزِلَا أَنْزَلُوا لَيْلَى وَحَطُّوا الْمَحْمَلَا  
وَبَقِيَتْ الْيَوْمَ قَيْسًا مَبْلِسَا فِي الصَّحَارِي عَاجِزًا مُسْتَبِيئَا  
«عَلَّمَ الْأَسْمَاءَ» فَخَرَّ الْأَدْمِيَّ ١٨١  
حِكْمَةُ الْأَشْيَاءِ نَصَرَ الْأَدْمِيَّ

### في بيان أن كمال حياة الأمة أن تشعر بنفسها كالأفراد وأن توليد هذا الشعور وتكميله من الاحتفاظ بسنن الأمة ورواياتها

أرأيتَ الطفلَ يا ذا البصْر! ليس يدري ما قريب وبَعِيدُ  
ما سوى الأمِّ يرى منه الجفَاءُ ليس تدري أذنه ما النغمَةُ  
فكره غُفْلٌ ضعيف الأثر ليس في تفكيره إلا السؤالُ  
كل نقشٍ عنده ينطبعُ عينه إمَّا بكفٍّ تُطبَّقُ  
فكره في الجوّ واه حذرُ خلف صيدٍ في حِذَارٍ يُرسلُهُ  
ثم غشاه لهيب الفِكرِ فتراه عينُهُ مُسْتَعِلِنَا  
ومن الذكرى ينمّي نفسه ينظم الأيام خيطَ الذهبِ  
جسمه يُرمي ويكري قائلًا: أنا، هذي بدء مقصود الحياه  
مثل الأمة حين النشأة هي طفلٌ نفسَه لا يعرف  
يومه بالغد لم يوصل ولا  
ما له عن نفسه من خَبَرِ كرهَ النجم بكفّيه يريد  
هُمُّه أكل ونوم وبكاء لحنه ثورته والضجّة  
قوله فيه صفاء الجوهر أين؟ أنى؟ ومتى؟ في كل حال  
وهو كَلٌّ غيرَه يتَّبَعُ تتنزّى روحه في قلقٍ  
كصُقير لاصطيادٍ يُخبر ثم يدعوه إليه يُعجله ١٨٢  
فَرَمَى حُذروفه بالشرر ١٨٣  
فيدقُّ الصّدرَ يعني: ها أنا ١٨٤  
غدّه يربط فيه أمسه نسقُ الدُرِّ بسمطٍ مُعجِبٍ  
«مثل ما كنت أراني ماثلاً ١٨٥»  
نغمَةُ اليقظة في عود الحياه  
مثل الطفل ضعيف المنة جوهراً غشّى عليه الصدفُ  
بصباح ومساء سلسلا

وبعين الكون إنساناً يُرى  
 بعد لأي طَرْفُ الخيط بدا  
 فإذا رَأَى قَواها الدهرُ  
 أسطراً، تمحو، وأخرى تسطرُ  
 يُبلس الفردُ إذا ما انتثرا  
 نور قوم من مدادِ السَّيرِ  
 أمةٌ قد نسيت سيرتها  
 أنت سَفَرٌ كتبته السيرةُ  
 ثوبنا أيامنا في الزمن  
 ما ترى يا غرُّ تاريخِ البَشَرِ؟  
 في سَناه أنت بالنفس بصيرُ  
 إنه أعصابُ جسمِ الأمةِ  
 هو يجلوك كسيفٍ مِخْذَمِ  
 أيُّ عودٍ ذي فنون تسحرُ!  
 خامدُ الشعلة، فيه يُشعلُ  
 شمعه كوكبِ بختِ الأممِ  
 عينُه تُبصر ما قد عبرا  
 وعتيقُ الراح في كاساته  
 صائدٌ يرجعُ في أشراكنا  
 فاذا ذكر التاريخِ واستحكِمَ به  
 أحكَمَن وُضِلَّةَ يومِ وغدِ  
 وقُدِ الأيامُ قَسَرًا بمهازِ  
 صاح! من ماضيك يبدو حالُكا

كلُّ شيءٍ ما عداه أبصرا<sup>١٨٦</sup>  
 بعد ما حَلَّت يداها العُقدا<sup>١٨٧</sup>  
 يتجلى ذا الشعورِ المضمُرُ<sup>١٨٨</sup>  
 صفحاتٍ بيديها تَزِيرُ  
 عَقْدُ أيامٍ عليه قُدرا  
 نفسَه يعرفُها بالذِكرِ  
 ينسخُ الدهرُ غداً آيتها  
 حَيِّطه أيامُك الموصولةُ  
 وخياطُ الثوبِ حفظُ السننِ<sup>١٨٩</sup>  
 قصة! أسطورةٌ؟ لَهُو سَمَرُ؟  
 في هداه أنت بالسيرِ خبيرُ  
 إنه في الروحِ مثل الشعلةِ  
 ثم يرمي بك بين الأممِ  
 نغماتِ الأَمسِ فيه تُؤثِرُ  
 يومه للأَمسِ فيه موئِلُ  
 وسنا اليومِ وأميسِ المُظلمِ  
 وترى الماضيَ حياً مُحَضَرا  
 وخُمارِ الأَمسِ في نَشِواتِه  
 طائرًا قد طار من بستاننا  
 عَشَ بِأنفاسِ مضت، في طَبِّه  
 والحياةُ امضِ بها طوعِ اليدِ  
 أو فَعِشْ أعمى لليلِ ونهازِ<sup>١٩٠</sup>  
 ومن الحالِ بدا استقبالُكا

إن تُردُّ خُلْدَ حياةٍ فصَلِ  
 ما مضى بالحالِ والمستقبلِ

## في بيان أن بقاء نوع الإنسان بالأمومة وأن حفظ الأمومة واحترامها من أصول الإسلام

هو من محنتها في عِزَّة  
 إِنَّ ثُوبَ العِشْقِ مِنْ نَسِجِ الجَمَالِ ١٩١  
 ذلك اللحنُ حواه صدرُها  
 قَرَنَ الطيِّبَ إليها والصلاه ١٩٢  
 قد رآها أُمَّةٌ لا تُعْظَمُ  
 وإلى الرُّسُلِ لديها نَسِبُهُ  
 سِيرُ الأَقْوَامِ مِنْ صَنَعَتِهَا  
 وبِسِيماها بدا مِقدارنا ١٩٣  
 أتري فكرك فيها يَثْبُتُ؟  
 دونه أمرُ حياةٍ لا يَتَمُّ  
 تحت رِجْلِ الأُمَّهَاتِ الجِنَّةِ  
 بخلال الأُمَّ تسيارُ الحياه  
 ويدوم الموج فيه والْحَبَابُ

نغماتُ المرءِ عَزَفُ المرأةِ  
 كست الذُّكرانَ رَبَّاتُ الحِجَالِ  
 عَشِقُ الحَقِّ رَبَّاهُ حِجْرُها  
 الذي قد بَهَرَ الكونَ سَناه  
 جهَلَ القرآنَ جَهْلًا مُسَلِّمًا  
 إنما الأُمَّ علينا رَحْمَةٌ  
 رَأْفَةٌ المرسَلِ في رَأْفَتِها  
 ومن الأُمَّ عَلَتْ أَقدارنا  
 لفظة الأُمَّةِ فيها نُكَّتُ  
 إنما الأُمَّة من وصل الرِجْمِ  
 قال خير الخلق، وهو الحجَّةُ:  
 كُشِفَتْ بالأُمَّ أسرارُ الحياه  
 وبها في نهرنا يعلو العُبابُ

\* \* \*

عَبْلَةُ الجِسمِ وَغُفْلُ السَّحْنَةِ  
 دون تعليمٍ وصقل الصيقل ١٩٤  
 وجهُها يُعَرِّبُ عما تَحْمِلُ  
 صَبْحُنا يشرق من إظلامها ١٩٥  
 مسلمًا حقًا عظيم النجدة  
 باطنُ المرأةِ فيه عَطَّلًا ١٩٦  
 وتُرى الثورَةُ في مقلتها  
 حين طاشت عينُها بالنظرةِ  
 إن حَرِيَّتِها فقدُ الحياءِ  
 لم يطق أعباءُ أُمَّ علمُها ١٩٧  
 ليتهَا تُغسَلُ مِنْ حُلَّتِنا

هذه الغِرَّةُ بنتُ القريةِ  
 حَيَّةُ العينِ، كَهَامُ المِقْوَلِ  
 أَلَمُ الأُمَّ عليها يثقلُ  
 أمرنا يُحَكِّمُ من ألامها  
 إن تَهَبُ مِنْ حِجْرِها للأُمَّةِ  
 والتي رَقَّتْ وَخَفَّتْ مَحْمِلًا  
 شَعَّ نور الغَرْبِ في فكرتها  
 قُطِعَتْ أوصالُ هذِي الأُمَّةِ  
 إنَّ حَرِيَّتِها أصلُ البلاءِ  
 ليلها ما ضاء في نجمها  
 ليتهَا لم تنمُ في روضتنا



\* \* \*

مضمراتٌ ليس يحصيها عددٌ  
لم تُسَيَّبْ بَعْدُ من قِيدِ العَدَمِ  
جَلَوَاتُ في دجانا تُضَمَّرُ  
قطراتٌ لم تَزِنُ زَهَرَ الرَّبِّيِ  
إنما تنبتُ هذه الزَهَرَاتُ  
أيها العاقلُ! مالُ الأُمَّةِ  
إنه أولادها مِلءُ الأملِ  
في ذكاءٍ ونشاطٍ وَعَمَلٍ  
تحفظُ الأُمَّةَ إِخاءَ الأُمَّةِ  
وَقوى قرآننا والمِلَّةِ

### في بيان أن سيدة النساء فاطمة الزهراء أسوة كاملة للنساء المسلمات

أم عيسى نسبةً واحدةً  
قرة العين لخير الأولين،  
نافخُ الروحِ بَدنيا الوَهِنِ  
وهي زوجُ المرتضى ذا البطلِ  
ملكٌ في الكوخِ زهدًا قد أقام  
وهي أمُ السَيديين الأكرَمين  
ذا سراجٍ في ظلامِ الحَرَمِ  
ازدري الملكِ ابتغاءَ الأُلْفَةِ  
ذاك في الأبرارِ ربُّ العَلَمِ  
سيرةُ الأَوْلادِ صنَعُ الأُمَّهاتِ  
زهرةٌ في روضةِ الصِدقِ البتولِ  
فاقةُ السائلِ أذرتِ دمعها  
كل من في الأرضِ قد طاع لها  
بثلاثِ تَزدهي فاطمةُ:  
خاتمِ الرُّسُلِ، وخيرِ الآخِرينِ  
خالقُ العَصْرِ جَدِيدِ السُّنَنِ  
أَسَدِ اللِهِ الحَكِيمِ الفَيْصَلِ  
كلُّ ما يملكِ دَرعٌ وحُسامُ  
حَسَنِ خَيْرِ حَلِيمِ وحُسَيْنِ  
حافظُ وحدةِ خَيْرِ الأُمَّمِ  
أطفأَ النيرانَ بينِ الإخوةِ  
أسوةُ الأحرارِ في الحَظْبِ العَميِ  
وخلالِ الخَيْرِ طَبِيعِ الأُمَّهاتِ  
أسوةُ النسوةِ في الحَقِّ البتولِ  
ليهودي أباعتُ دَرعها<sup>١٩٨</sup>  
ورضاها حين تُرضي بعلها

نَشِئْتُ ما بين صبر ورضى      في الفمِ القرآنُ، والكفِّ الرحي  
دمعها من خشية الله جرى      في مصلاها يفوقُ الجوهرا  
لقطُ الروحِ الأمينِ الدُررا      وعلى العرشِ المعلى نثرا  
أنا لولا الشرع عن هذا نَهَى      وإلى شرعِ الرسولِ المنتهى  
طفْتُ حول القبرِ إجلالاً لها  
ناثراً من سَجَداتي حولها

### خطاب إلى المرأة المسلمة

مُشَعَلٌ مصباحنا من نارِكِ      عَرَضْنَا في الصَّونِ من أَسْتارِكِ  
خَلَقُكَ الطاهرُ فينا رحمةً      قَوِيَ الدينُ به والأُمَّةُ  
طفَلْنَا علِمته حين الفِطامِ      كلمة التوحيدِ من قَبْلِ الكلامِ  
صِيغَ من حُبِّكَ أطوارُ لنا      فَعَلْنَا، أقوالنا، أفكارُنا  
برقْنَا في سُحْبِ منك ثوى      شَعَّ في الأطوادِ، والبيدِ طوى  
ضاء دينِ الحقِ من أنفاسِكِ      ونما التوحيدِ في أحجارِكِ  
ذلك العَصْرُ غرورٌ ماكرُ      وعلى الأديانِ باغٍ فاجرُ  
عقلُه أعمى وبالله كَفَرُ      كم جهولٍ في شراكِ قد أَسَرُ  
عينُه عينٌ وقاحِ فاتِكِ      بِشباكِ الهدبِ كم من هالكِ!  
صيدهُ يحسبُ حرًّا نفسَه      مَيِّئُهُ يزعمُ قصرًا رمسه<sup>١٩٩</sup>  
بك يخضرُّ غراسِ الوحدةِ      بك ينمو رأسُ مالِ المِلةِ  
لا تسيري غيرَ نهجِ السلفِ      لا تبالي بجدىٍ أو تَلَفِ  
احذري فتنةِ عصرِ مُهلكِ      وإلى صدركِ ضمِّي وُلْدِكِ  
بَعُدت عن عَشها في خطرِ      هذه الأفراخِ، لَمَّا تَطِرِ  
فيك تسمو للمعالي فطره

علَّ غصنًا منك يأتي بحسِينِ  
فترى النضرةَ رَوَضاةً ذَوِينِ

## خلاصة مطالب المنظومة في تفسير سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

ظهر الصديق لي في الحُلْمِ      ذا «أمنُ الناس» فينا من جَلا  
مُزهِراً منه ترابُ القَدَمِ      هو ثاني اثنين في الدين وفي  
طُورُنَا منه الكَلِيمِ الأوَّلَا<sup>٢٠٠</sup>      قلت: يا صفوة أصحاب الصفاء  
صحبة الغار وفي القبر، الوفي<sup>٢٠١</sup>      بك قرَّ الأُسُّ في بُنياننا  
مطلَعَ الديوان من أهل الوفاء!      قال: حتامَ أسيرُ الوَهَمِ  
فانظرنُ ما الطبُّ من أدوائنا      نَفْسٌ في كل صدر جائلُ  
سورةُ الإخلاص بُرء السَّقَمِ      فاجلُ هذا السرِّ في كل الفِعالِ  
وهي للتوحيد سرُّ هائلُ      الذي سَمَّاكَ عبداً مُسَلِّماً  
ولتكن منه مثلاً للجمال      قلت: أفغان، وترك وعَجْمُ  
بك للوحدة في الدنيا سَما      طَهَّرنَّ الحقَّ من هذي السَّماتِ  
لم تَزُلْ عما تعودتَ القَدَمِ      يا أسيرًا لِسَماتٍ ويحكا!  
اقصدِ البحرَ وخلَّ القَنواتِ      أبدل الوحدة بالتثنوية  
قد بعُدتَ اليوم من دَوِجتكا      عابدَ الواحدِ! وحَّد واهجرن  
لا تقطعُ صاحِ! حبلَ الوحدةِ      أيها المُغفلِ معنى الكَلِمِ  
كل تفريق وللمحق ارجعُن      أُمَّةً قَطَعَتها في أُممِ  
أثبتنَّ في القلب أَلِفاظَ الفَمِ      وهدمتَ الحصنَ فيه تحتمي

لذة الإيمان زد بالعمل

مات إيمان إذا لم يعمل

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾

أشعرنَّ القلبَ «الله الصمد»      ليس عبدُ الله عبدَ السببِ  
تخلصنَّ من قيد أسبابٍ وحدِّ      ليس غيرَ الله يرجو المسلمُ  
ما الحياةُ الحقُّ دورَ اللولبِ<sup>٢٠٢</sup>      وهو للناس جميعاً سَلْمُ

لا تَبُئِنَّ شَكَاةً أَحَدًا  
 بالشعير اقنع، ثقيلٌ حيدرا  
 فِيمَ لِلأجوادِ حَمَلُ المِنَنِ  
 لا تَرُمُ رزقَ لئيمٍ يُنْغِصُ  
 إن تكنَ نملاً وكنْتَ المقْعدا  
 خَفَّفِ الزاد، طَريقُ وَعِرُ  
 اجعلن «أَقْلِلُ من الدنيا» الشُّعارُ  
 وكن الإكسيرَ لا التَّربَ بها  
 «بو عليّ» ليس مجهولا لديك  
 «تخت قابوس اركلن بالأرجل  
 يُفْتَحِ الحانَ عَجولاً نَفْسَه

\* \* \*

قائدُ الإسلامِ هارونَ الرشيدُ  
 قال: يا مالِكُ مولى الأُمّةِ  
 أنت يا بلبلَ فردوسِ الحديثِ  
 لِمَ يُخْفِي ذا العقيقِ اليمَنُ؟  
 حبذا زهرة أيامِ العراقِ  
 تربّه فيه من السُّقمِ نجاهِ  
 قال: إنني خادمٌ للمصطفى  
 أنا، من قَيِّدَتْ في حُبِّي لهُ  
 لي في يثربِ حُبٌّ واشتياقٌ ٢٠٩  
 وبقولِ العشق: أمرِي امتثِلا  
 أنت تبغني أن تُرى لي سيِّدا  
 ألتعلِّمك أغشى بابِكا  
 إن تَرُمُ في الدينَ علماً يُقْتَنِي

مَنْ سَقَى نَقفورَ من ماءِ الحديدِ ٢٠٧  
 أنت يا رونقَ وجهِ المَلّةِ  
 إنني أرغبُ في درسِ الحديثِ  
 اقصدنَ بغدادَ، نعم الوطنِ ٢٠٨  
 حبذا حسنٌ به، الأعينَ راقٍ  
 قاطرٌ من كرمه ماءُ الحياهِ  
 وبحسبي حَبٌّ، لي شرفا  
 كيف أنأى عن مكانِ حَلِّه  
 أين من ليلي بها صبْحُ العراقِ؟  
 لستُ أرضى بملوكٍ حَوَلا  
 أن تُرى مولىً لحرٍّ عُبدا  
 خادمُ الأُمّةِ لا يعنو لكا  
 فاغشَيْنَ حَلقةَ درسي ها هنا

\* \* \*

الذي استغنىَ جديرٌ بالدلالِ  
 في دلالِ عنده كلُّ جمالِ

صِبْغَةَ الْحَقِّ مَنْ اسْتَغْنَى اِكْتَسَى  
أنت من غيرك تجدو علمكا  
أنت منه بِشِعَارِ تَفَخَّرُ  
خشعت أرضك من أمطاره  
مَطْرًا مِنْ مَزْنِهِ لَا تَجْتَدِي  
سَلَسَلَتْ عَقْلَكَ أَفْكَارٌ لَهُ  
مَسْتَعَارٌ كَلِمٌ فِي فَمَكَا  
أَعُوذْتُ طَيْرِكَ أَلْحَانُ الْغِنَاءِ  
أنت في كأسك خمراً تجتدي  
لو يعود اليوم فينا ذو النظرُ  
مَا زَ صَدَقًا وَكِذْبًا سَمِعُهُ  
نعم نادى «لست منى» يا فتى  
فَالإِمُّ الْعَيْشُ مِثْلُ الْأَنْجَمِ  
أنت قد غرَّك صبح كاذب  
أنت شمس نَفْسِكَ اعْرِفْ كُلَّ حِينِ  
إِنَّ فِي قَلْبِكَ نَفْسًا مِنْ سَوَاكَ  
بَسْرَاجِ النَّاسِ مِغْنَاكَ أَضَاءُ  
لك حول الشمع في الحفلِ دُوارِ  
أَبَقَ فِي مِثْوَاكَ مِثْلَ الْبَصْرِ  
حَيٌّ فَرَدُّ نَفْسَهُ قَدْ عَرَفَا

عن طريق المصطفى لا تذهبن  
واترك الأرياب، واللثة اعبدن

### ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾

قد علا قومك عن لون ودم  
في وضوءِ قطرةٍ من قنبر  
وعلا أسوده حُمَرَ الْأَمَمِ  
هي أعلى من دمٍ من قيصِرِ

اتركن عمًّا وأمًّا وأبًّا  
يا خليلي اسمع حديثي واعقلا  
قطرةً من شَقِر كَالْقَبَسِ  
لم تقل هذي: أنا نَيْلُوفَرُ  
شأن إبراهيم في ملتنا  
إن جعلت الدمَ ركنَ المِلَّةِ  
في نَرانا ليس ينمو بَزْرُكا  
ابنُ مسعودٍ سراجُ المتقين  
أجَّ من موت أخيه صدره  
لم يجفَّ الدمع من حرقته  
آه للقارئ درس العظةِ  
آه للسَّروِ الذي قد وَرَفَا  
عينُهُ تحرَّم. إبصار النبيِّ

وأنا أشهد أنوار النبيِّ<sup>٢١٨</sup>

ما من الأنساب يِقْوَى وصلنا  
إنما حبُّ الحجازيِّ الحبيبِ  
حَسْبُنَا أَصْرَةٌ من حُبِّهِ  
جدُّ الدهرُ بنا سيرتَه  
عشقُه سرُّ اجتماعِ الأمةِ  
صلةُ العشقِ لنا أقوى سَببِ  
أيها العاشقِ خلِّ النسبِ  
نورٌ حقٌّ مثله أُمَّتُه  
نور حق ما حواه نسب

من ثوى في نسبٍ أو بلدٍ  
قد عفا عن «لم يلد ولم يولد»

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

عامراً بالحق قلباً قد عمر؟  
 لم ترعها طلعةً من مُجتني  
 فتراها لهباً يستعرُ  
 أنها خُلف عنها كوكبُ  
 وشُعاعُ الشمس فيها قَبْلُ  
 لتُرى في الناس حُرّاً أوحداً  
 عبده يَأبى شريكاً مثله  
 ليس يرضى بمُسام في السَمَا  
 «أنتم الأعلون» تَأجُّ المَفْرِقِ  
 وحوى بَرّاً وبحراً صدره  
 صدره للبرق إما نزلاً  
 أمره المعيار في خيرٍ وشرِّ  
 جوهرٌ فيه كمالٍ للحياه  
 نعمةٌ إلا أذانُ المُسلمِ  
 وهو حين القهر ذو طبع كريم  
 قهره في الحرب صهرٌ للحجر  
 وهو في البُيد انقضاض الأجدل  
 هو فوق الزُهرِ ما إن يستقرَّ  
 طائرًا فيما وراء الفلكِ  
 دودةٌ في ظلمةِ التُّربِ تُراح  
 قد أصبتُ الذل من هجر القرآن ٢٢٠  
 بالكتاب الحيّ أمسكت يدا

صاح! ما المسلمُ للدنيا احتقر  
 زَهْرَةٌ من شَقِيرٍ في القُنَيْنِ  
 نَفْسًا ينفخ فيها السَحْرُ  
 تُشفق الزُهرُ عليها تحسبُ  
 الندى منها نُعاسًا يَغْسِلُ  
 (لم يكن) أمسكُ بها واشدُّ يدا  
 ذلك الواحد لا شِركَ له  
 قد سما المسلم أعلى من سَمَا  
 وردُه «لا تحزنوا» في المَأزِقِ  
 حملَ الكونين طرّاً ظَهْرُه  
 أذنه للرعْدِ إمّا جَلْجَلًا  
 قاتِلُ الزُورِ، وللحقِّ وَزَرَ  
 جمْرُه كلُّ لهيبٍ في حشاه  
 ليس في ضوضاء هذي الأممِ  
 هو في العفو وفي البذلِ عظيمُ  
 لُطفُه في الحَفْلِ جبر المنكسرُ  
 هو في الروض صفيّرُ البُلْبُلِ  
 قلبه تحت سَماءٍ لا يقرَّ  
 طائرٌ ينقرُ نجمَ الحُبِّكِ  
 أنت، يا مَنْ لم يَطِرْ منك جَنَاحُ!  
 مستكينٌ تشتكي جور الزُمانِ  
 قد هبطت الأرض طَهْرًا كالندى

فإلام العيش في التُّربِ؟ ارحلا

اصعدنْ فوق السَّمَاواتِ العُلَا

## شكوى المصنف إلى من أرسل رحمة للعالمين

نضرتُ منك مُحيِّهاها الحياه  
الجهاتُ الست نورٌ يَسْطَع  
إِنَّ فِقْرًا فيكَ نخر الكائنات  
أنت أشعلت مصابيح الحياه  
صُور الكون بدت من دونكا  
نفسُ منك أطار الشررا  
وسمت للنيرين الذرة  
من أبي أنت وأمي أقرب  
عشقك النار بجسمي يُضرم  
ومتاعي أَنَّةً مثل الرباب  
كيف لا يُبدي شَجِّ أتراحه؟  
ضلَّ عن سرِّ النبيِّ المسلم  
كلُّهم في قلبه يثوى هُبْلُ  
شيخنا يفضله البرهمن  
هجر العُرب، وفي العُربِ عِصْمُ  
فتَّ برد العُجم في أعضائه  
هو، كالكافر، يَخشى الأَجلا  
داؤه كلُّ طبيب ما شفا  
هالگًا عرَّفته ماء الحياه  
قلت عن أحباب نجدٍ قِصَّتِي  
فأضاء الحفلَ من لحنِي أياها

ورأت تعبير رؤياها الحياه  
منك، والأقوام جمعًا تَبْعُ  
قد تعالى بك قدر الكائنات<sup>٢٢١</sup>  
وحبوت الناس من رُقِّ نجاه  
فاقةً تشكو وتشكو الحَلْكا  
فاستحال الطين منه بشرا<sup>٢٢٢</sup>  
وتجلَّت من حشاها القوَّة  
مذ رأى وجهك طُرفي المعجِبُ  
فليُذِبْ رُوحِي منه ضَرْمُ  
إنها المصباح في بيتي الخراب  
كيف لا يُبدي زجاج راحه؟  
موثنا قد صار هذا الحرم<sup>٢٢٣</sup>  
ومناةً فيه والعُزَى تحل  
سُمناتُ رأسه يستوطن<sup>٢٢٤</sup>  
وأطال النوم في حانِ العجم  
دمعه أبرد من صهبائه  
صدره من قلب حيٍّ قد خلا  
فحملت النعش عند المصطفى  
ومن القرآن أسرار النجاه  
حدتُ عن روض نجدٍ نفحتي  
ودرى قومي أسرار الحياه<sup>٢٢٥</sup>

\* \* \*

قيل: أهدى سحر أوربنا لنا  
واهبي عود سُلَيْمي كَرْمَا  
اهدٍ للحق، الذي قد أفكا  
إن يكن قلبي غوى لا يُبصرُ

وبقانون الفرنج افتتنا<sup>٢٢٦</sup>  
والأبوصيريُّ بُردًا كَرْمَا<sup>٢٢٧</sup>  
الذي يجهل ما قد ملكا<sup>٢٢٨</sup>  
أو سوى القرآن لفظي يُضمُرُ



<p>أنت يا عالم أسرار الصدور  طَهَّرَن من شوكتي روضَ الزمن  واكفَيْنَ شَرِّي أهلَ الملةِ  واحرمَنِّي من شأيب الربيع  واملأن راجِي سَمًّا قاتلا  واحرمَنِّي منك لثَمَ القَدَم  ونظمت الدرَّ من سرِّ القُرانِ  بك كم نال وضيعُ شرفا  يجعلنَ عشقي قرينَ العمل  ونصيبا شئتَ لي من علم دين  واجعلنَ قَطَرَ ربيعي دُرا</p>	<p>أنت يا من نورُه صبحُ العصور  اهتكنُ أستارَ فكري وافضحنُ  وحياتي اقطع لأجل الأمةِ  أبعِدُن عن روضتي الغيث المريع  جفَّف الراح بكَرمي عاجلا  واخزِينِي يوم حشر الأمم  أو أكن أخلصت نصحي في البيان  فدعاءً منك أجري وكفى  اسألنُ الله رب العرش لي  ربِّ قد أنعمتَ بالروح الحزين  فاجعلنَ في الفعل حظِّي أوفرا</p>
---	---

\* \* \*

<p>مذ حوى قلبي في الدنيا مُقام  شاهدًا صبحَ حياتي الأولا  مذ شدا باسمك أُمي وأبي  ودهاني ريبُه والمِحَنُ  ونما بالعتق فيه التَّمَلُّ ٢٢٩  كوكبُ في جنح ليلي يُسِفِر</p>	<p>أملٌ آخر في القلب أقام  هو في صدري كقلبي نزلا  أملٌ أذكيبتُ منه لهبي  كلما غيَّضَ منِّي الزمنُ  شبَّ في قلبي هذا الأملُ  إنَّه تحت ترابي جَوهَرُ</p>
---	---

\* \* \*

<p>وتعشقتُ ذواتِ الطُرَرِ  حين أطفأتُ سراج العافيه  وغزا قلبي قُطَاعَ الطريقِ  وبيكيسي لم يزل هذا النَّضارُ</p>	<p>همتُ حينًا بذواتِ الحورِ  وعلى الراح صحبت الغانيه  وأحاطت بِيَدري نارُ البروقِ  وبروحي لم يزل هذا العُقارُ</p>
---	---

\* \* \*

<p>وغزا روحي بالنقش الفريي ٢٣٠  وهو في رأسي مقيمٌ لا يَبِينُ</p>	<p>لبس الزُنارَ عقلي الأزريي  في إसार الشك أمضيت سنينُ</p>
--	--

أحرُفًا ما نلتُ منِ علمِ اليقينِ      ومن الحكمة في الريب رهين<sup>٢٢١</sup>  
 لم يُلح في ليلِ عمري نورُ حقِّ      لم يُنزه ليلى شعاعُ من شفقِ  
 وفؤادي مُضمِرُ هذا الرجاءِ      صدَفُ في قلبه دُرُّ أضاءِ  
 ثم من عينيِّ دمعا سَجَمًا      وتجلَّى في فؤادي نغما<sup>٢٢٢</sup>

\* \* \*

يا مَنْ القلبِ سِواه أغفلا!      ائذَنْنْ أذكر هذا الأملًا  
 سيرتي ما ضاء فيها العملُ      كيف مثلي مثلَ هذا يأمَلُ؟  
 أنا من إظهاره في خجلِ      منك لطفُ يسر الجُراءِ لي  
 يا رحيماً بك للناس مفاز!      كلُّ ما أبغيه موتي في الحجاز<sup>٢٢٣</sup>  
 هَجْرُ غير الله شأنُ المسلمِ      كيف لي عيشُ ببيت الصنمِ؟  
 حسرة المسلم إن حُمَّ الممات      أن يكون الدَّير مثنوى للرفات<sup>٢٢٤</sup>  
 ويل يومي، وهنيئاً لغدي      إن أقمُ في ذا الحمى من لَحدي  
 حبذا أرض تراهها موطننا!      حبذا تُربُّ تراه مسكننا!  
 دارِ حَبِّي ومليكي والسكن      أيها العشاق! ذا نعم الوطن<sup>٢٢٥</sup>  
 كوكبي أطلِّعه بالسعد غدا      في ظلال الدار هب لي مرقدًا  
 ليرى الراحةَ قلبي القلقُ      ويرى الهدأةَ هذا الزئبقُ

أيها الدهر انظرنْ هذا السلام  
 قد رأيت البدء فانظر ما الختامُ

كان الفراغ من تبيض الترجمة وتحريرها، وتنقيحها وتحبيرها أصيل يوم السبت الحادي عشر من شعبان سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة (الرابع والعشرين من آذار سنة خمس وخمسين وتسعمائة وألف من الميلاد) بدار السفارة المصرية بمدينة جدة.

والحمد لله أولاً وآخراً.

## هوامش

(١) ترجمة بيت لعرفي الشيرازي صدر به الشاعر هذه المقدمة، ومعناه: لا يستطيع أحد إنكار ما أصف من آلام عشقي، فإنه إن شعر بالآلام التي أصفها فهذه الآلام لا تكون بي، ولكن به هو، إنني أصف شيئاً لا يمكن أن يكون في قلب غيري، فكيف يستطيع إنكاره.

(٢) يعني: أهل أوروبا الذين سيطروا على الهند وغيرها حقبة.

(٣) الأفلاك من الهبوة التي أثرتها في جهادك على الأرض.

(٤) الشطران بين الأقواس بيت للشيخ سعدي الشيرازي.

(٥) يعني: أن الشعراء الآخرين فتنوا بذكر الحان وغلمان المجوس، وهؤلاء في الشعر الفارسي كغلمان النصارى في الشعر العربي يقرن ذكرهم باللهو والسكر، إذ كانوا خدم الحانات.

(٦) مرآة اسكندر مشهورة في الشعر الفارسي، يقال: إنه كان يرى فيها الأقاليم ولعل أصل الخرافة منارة الإسكندرية ومراياها، ويقول الشاعر هنا: إن في شعري مرايا كمرآة إسكندر، فلست في حاجة إليها.

(٧) يعني: أنه لا يجني الزهر في حجره، بل يستكبر أن يجنيه استغناء عنه.

(٨) حذف بعد هذا بيتان.

(٩) الربيع النهر الصغير.

(١٠) محبوبنا الرسول ﷺ.

(١١) يتخيل الشعراء أن الورد يمزق صدره حين يتفتح، ويقول الشاعر: إن العشق صاغ قلبه مرآة وهو يشق صدره، فيضع هذه المرآة أمام الأمة الإسلامية لترى فيها حقيقتها.

(١٢) أي لتُقدري جمالك، وتدركي مزاياك، وتحبي نفسك.

(١٣) الشقيق: زهر أحمر يجعله الشعراء مثلاً للاحتراق، ويقول إقبال: ما هذا الاحتراق الذي هو لون لا حقيقة له، ولماذا أستجدي الندى من الفجر كالشقيق وغيره من الزهر، أنا أحترق بناري كالشمع، وأتخذ من دمعي ندى.

(١٤) أيامه كلها عمل وجهد ليس فيها يوم راحة.

(١٥) روحه آهة والجسد تراب يسترها كما يتردى الإعصار بالغبار.

(١٦) تجعل العصف — وهو الهشيم — ضعيف اللهب، ناراً قوية تحرق غيرها، وتخلق من التراب فراشاً هائماً يهفو على النار.

- (١٧) نهر المجرة.
- (١٨) قيمة الأفراد من فضل الأمة عليها.
- (١٩) كثرة الأمة لا تضر بوحدة الفرد بل تحكمها، والكثرة فيها موحدة بوحدة الفرد، ورأى إقبال أن غاية الجماعة تقوية الفرد وإسعاده وهو لا يفنى فيها.
- (٢٠) الفرد في الجماعة كلفظ في بيت من الشعر، إن فصلت اللفظ من البيت اختل البيت، وتعطل معنى اللفظ.
- (٢١) تقييد الفرد بقيود الجماعة لا يعبده بل يحرره، وثباته في الجماعة ينميه مثل الشجرة تثبتتها في الطين فتنمو، وإن لم تثبت في الأرض لم تنم.
- (٢٢) الوهق: حبل فيه آخية يصطاد به، يعني أن قيد النظام للإنسان يمنع وثوبه ولكن يكمله ويطيبه.
- (٢٣) أثبت خودي، ومعناها الذاتية، وبيخودي أي نفي الذاتية على لفظهما في الأصل، يعني الشاعر أن الإنسان إن لم يميز مواضع الذاتية من مواضع نفيها اشتبه عليه أمره، وهذا أساس فلسفة إقبال، انظر المقدمة.
- (٢٤) يعني الذاتية.
- (٢٥) وجودك منه ووجودي منه، وهو مع هذا فرد لا يثنى.
- (٢٦) هذا النور الذي يسميه الذاتية يصنع نفسه ويثبتها ويفرقها، وله دلالة يظهر في صورة خضوع، يعني أنه غالب وكأنه مغلوب.
- (٢٧) شرر صغير ولكنه كبير في معناه يقوى على الشعلة الكبيرة.
- (٢٨) يظهر من خلوته: أي يبدو في الكون فيثير حرباً هي جهاد الحياة الدائم.
- (٢٩) الجبر والإكراه يقطع عليه الطريق وهو بالحب والاختيار ينمو ويعظم.
- (٣٠) تفرق الذات نفسها فتنمو من زهرتها روضة أي تعظم وتكثر بهذا التفريق.
- (٣١) هذا الشطر من المثنوي لجلال الدين الرومي.
- (٣٢) مذهب إقبال: أن غاية الجماعة سعادة الفرد، وأن الفرد لا يفنى من أجل الجماعة.
- (٣٣) المضرب ما يضرب به أوتار العود.
- (٣٤) يعني ليس عنده نشوة العمل والإقدام.
- (٣٥) النجم النبات الذي لا ساق له.
- (٣٦) أي تغيرت قيم الأشياء بما أتى به من مقاييس جديدة.

- (٣٧) كلامه ونظره يجذب البعيد إليه حتى يصيرا كنفس واحدة.
- (٣٨) يهب الناس نظرًا جديدًا فيرون الأشياء على غير ما رأوها قبلاً، فرب حسن يصير قبيحًا، وقبيح يصير حسنًا.
- (٣٩) ترى الذرة على ضالكتها طور سيناء، الذرة لا ترى إلا في نور الشمس، ولكن هذا الرسول الذي يتحدث عنه الشاعر يحيي الموات وينير الظلم فترى الذرة طور سيناء.
- (٤٠) العقل عريان مفلس حتى يمهده الرسول فيكسوه ويغنيه أي هو يهدي العقل ويقويه.
- (٤١) يشعل العقل، ويميز له الخبيث من الطيب.
- (٤٢) الناس يعبدون الصنم ويستعبدون الإنسان، فيقول الرسول للإنسان لست عبدًا، ولست قدرًا من الأصنام.
- (٤٣) يقيدته بالشرعية ليجذبه إلى المقصود ويعلمه توحيد الله وأدب الطاعة، فترى الإنسان حرًا من عبادة الكبراء مقيدًا بالشرع.
- (٤٤) إشارة إلى الآية في سورة مريم: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾.
- (٤٥) كأس جشيد التي ترى فيها الأقاليم السبع، أي: إن صدقت النية في مقام العبودية لله وحده ينقلب السائل ملكًا، ووعاؤه الذي يجتدي فيه يصير كأس جشيد.
- (٤٦) تقدم أن «لا إله» اختصار كلمة التوحيد.
- (٤٧) الفكر وحده لا يجدي ولا بد له من حرقه الإيمان.
- (٤٨) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿مَلَّةً أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾.
- (٤٩) أمتنا مؤسسة على العقيدة لا على الأرض، فقلوبنا ليست رهن الحس، بل هي متصلة بالغيب، أي بالمعاني التي لا تحدها الأوطان.
- (٥٠) نظامنا قائم غير مرئي، كالبصر لا تدركه الأبصار.
- (٥١) الرئي المظهر.
- (٥٢) مأخوذ مما جاء في الأثر من تسمية الخمر أم الخبائث.
- (٥٣) مقتبس من القرآن: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾.
- (٥٤) رجاء يوصل دائم لا ينقطع.
- (٥٥) الوند جبل عال مشرف على مدينة همذان، يعني: إن تكن كجبل الوند ففي اليأس مصرعك.

- (٥٦) الضمير لليأس في أكنافه تشب الخيبة، وبفضله ينمو العجز.
- (٥٧) الكحل يجلو البصر، ولكن كحل اليأس يعمي ويجعل النور ظلامًا.
- (٥٨) إشارة إلى ما حكى القرآن الكريم من قول الرسول لأبي بكر في الغار:  
﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.
- (٥٩) إشارة إلى الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.
- (٦٠) إشارة إلى قصة موسى وفرعون وقول الخالق عن موسى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ وفرعون هنا نكرة، ولهذا لحقه التنوين.
- (٦١) لا يؤدي دية من قتله.
- (٦٢) عين: جاسوس، والميم في خط الرقعة والخط الفارسي مصمته، فجعل الشاعر الخوف مظلم القلب مثل ميم الموت. وفي الأصل ميم مرك، ومرك: موت، فالميم في الأصل والترجمة.
- (٦٣) تشوه مظاهر الحياة عينه، وتحرف أخبار الحياة أذنه.
- (٦٤) ذو الفقار: سيف علي بن أبي طالب — رضي الله عنه.
- (٦٥) في الأصل وعلى الشام نثرت الشفقا، وشام في الفارسية بمعنى الليل، فالكلمة تورية معناها القريب بلاد الشام.
- (٦٦) محيي الدين عالمكير، الملقب أورك زيب، أحد عظماء الملوك من دولة المغول في الهند، وكان حريصًا على نشر الإسلام في الهند ملتزمًا حدود الشرع، ملك من سنة ١٠٩٩ إلى سنة ١١٤٨هـ.
- (٦٧) أكبر هو جلال الدين أكبر من أعظم سلاطين المغول ملك خمسين سنة، وحاول أن يجمع بين الإسلام والأديان الأخرى في دين سماه الدين الإلهي، وكان يتقرب إلى الهنادك ويرعى شعائهم، ودارا أخو عالمكير المذكور هنا.
- (٦٨) شاهجهان بنى تاج محل لزوجته، فلما ولي عالمكير لم يبين لأبيه مزارًا، بل دفنه بجانب زوجته في تاج محل، ثم بنى لنفسه قبرًا صغيرًا ساذجًا.
- (٦٩) زينة العرش لقب هذا السلطان (أورك زيب).
- (٧٠) توهم الليث صورة ليث.
- (٧١) ثم دعا الوجد إلى الصلاة مرة أخرى.
- (٧٢) العبد لدى مولاه يفنى ولكن يثبت في جهاد الباطل، واللفظان العربيان لا ونعم في الأصل.

(٧٣) الألف في حصلا نون التوكيد الخفيفة، والمعنى: ليكون لك قلبه، ولتعد هذا القلب للحبيب «الحق».

(٧٤) إشارة إلى الآية: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرْنَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

(٧٥) إشارة إلى دعاء إبراهيم وإسماعيل: ﴿وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

(٧٦) إشارة إلى الآية: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾.

(٧٧) بطحاء مكة.

(٧٨) إشارة إلى بيت البردة:

أحل أمته في حرز ملته كالليث حل مع الأشبال في أجم

(٧٩) الكثرة المؤتلفة هي في الحقيقة وحدة لا كثرة، وإذا ائتلفت الكثرة فاتحدت نشأت الأمة.

(٨٠) في حاشية الأصل بيت من البردة:

لما دعا الله داعينا لطاعته بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

(٨١) لا نبي بعدي فضل من الله على هذه الأمة، ومكافة الإسلام من هذا.

(٨٢) برويز ملك عظيم من ملوك الفرس، وفرهاد مهندس فارسي له مع برويز وجاريته شيرين قصة رائعة في الأدب الفارسي.

(٨٣) المدنية الحاضرة من آثار البعثة الإسلامية، فهذا العصر جاء إلى الوجود في حجرها.

(٨٤) إشارة إلى الآية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

(٨٥) إشارة إلى الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾.

(٨٦) أبو عبيدة الثقفي أحد قواد المسلمين في فتح العراق، وجابان قائد فارسي.

(٨٧) بو عبيد هكذا جاءت في الأصل، واقتضى الوزن وذكر الاسم إبقاءها كما

جاءت.

- (٨٨) الحيدر: علي بن أبي طالب وقنبر خادمه، يعني أن نغمة ينطق بها بلال أو قنبر هي نغمة علي وأبي ذر، سواء فيها الكبير والصغير والسيد والمولى.  
(٨٩) مراد أحد أمراء خوقند أو خجند في تركستان في القرن الثالث عشر الهجري.  
(٩٠) فرهاد مهندس له قصة معروفة في الأدب الفارسي والأساطير مع الملك برويز.  
(٩١) اقطع يد السلطان قصاصًا.  
(٩٢) شمر كمه استعدادًا لقطع يده.  
(٩٣) آية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، القطع عدل والعفو إحسان.  
(٩٤) حذف قبل هذا أبيات فيها حديث وقعة كربلاء.  
(٩٥) كعب بن زهير الذي مدح الرسول بالقصيدة المعروفة: بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول.  
(٩٦) إشارة إلى البيت:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الهند مسلول

- (٩٧) إشارة إلى الحديث: «حب إليّ من دنياكم ثلاث ... إلخ»، لم يقل الرسول: «من دنيائي أو دنيانا»، بل قال: «دنياكم».  
(٩٨) سكن الإنسان من يسكن إليه من أهل أو صديق.  
(٩٩) لا يتيه في عالم العلل والمقادير.  
(١٠٠) يقول إقبال في ديوان ضرب الكلم:

إنما الكافر حيرا ن له الآفاق تيه  
وأرى المؤمن كونا تاهت الآفاق فيه

يعني أن المؤمن المجاهد لا تعوقه ولا تحيره عقبات هذا العالم، بل يسخرها كما يشاء.

- (١٠١) الإمام الأعظم رسول الله.  
(١٠٢) في القرآن الكريم: ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسِعَتْ فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾، فالهجرة ترك المكان الذي يعسر فيه العمل إلى المكان الذي يتيسر فيه أداء الواجب.



- (١٠٣) اقتباس من القرآن جاء في الأصل.
- (١٠٤) الفلورنسي مكياڤلي، مؤلف كتاب الأمير الذي أحل للملوك كل وسيلة تبلغ بهم الغاية.
- (١٠٥) الصنم: الملك.
- (١٠٦) الريح: الرائحة.
- (١٠٧) تذهب طير وتجيء أخرى، وتسير الرائحة، وينزل الندى، فالروضة باقية على تبدل ما فيها.
- (١٠٨) موسم الزهر أبقى أحاد الزهر، فالزهرة تذبل والموسم يدوم.
- (١٠٩) الأماس: جمع أمس.
- (١١٠) يسفر: يسافر.
- (١١١) إشارة إلى الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴿١﴾ وَ﴿٢﴾ قَالُوا بَلَىٰ﴾، يعني أنها قائمة على عقيدة أزلية عامة خالدة فهي دائمة بدوام هذه العقيدة.
- (١١٢) إشارة إلى الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.
- (١١٣) المعنى إن كان الذكر محفوظًا فلا بد أن يدوم الذاكر فلا نكر بدون ذاكر.
- (١١٤) الآية: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.
- (١١٥) إلى الحق تنيب: الحق هنا الله تعالى.
- (١١٦) إبراهيم الخليل، كان يأمل أن تخرج من ذريته أمة موحدة فانجلت آماله عن هذه الأمة.
- (١١٧) إشارة إلى الآية: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.
- (١١٨) يعني كانت نار التتر علينا بردًا وسلامًا، بل كانت روضة لنا كما كانت النار لإبراهيم.
- (١١٩) ساسان الذي تنسب إليه دولة الفرس الساسانية التي سيطرت من القرن الثالث الميلاد حتى ظهور الإسلام.
- (١٢٠) يعني أن الأمة الإسلامية تبقى بما في قلوبها من الوجد والهيام والإقدام على العمل وهذا العشق حياة للعالم.
- (١٢١) إن كنا في ضيق وغم منطوين ككم الزهرة فحياة هذه الروضة، هذا العالم، رهن بحياتنا إن متنا ماتت.

- (١٢٢) زهر السراج أضاء.
- (١٢٣) إشارة إلى الآية: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.
- (١٢٤) سكن اضطرابه واطمأن، موجه الثائر سكن واستقر كالدرة في الماء.
- (١٢٥) جم: جمشيد أحد ملوك الفرس القدماء.
- (١٢٦) الهبوة: الغبار الذي يثور في الحرب أو سير الأرجل الكثيرة ونحوها.
- (١٢٧) إشارة إلى الآيتين: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا﴾ و﴿يَدْعُ الدَّاعِيَ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾.
- (١٢٨) القوال منشد القصائد الدينية وهو معروف بهذا الاسم في إيران والهند.
- (١٢٩) العراقي شاعر صوفي فارسي.
- (١٣٠) يعني أنه يأخذ مالا من الفقراء المقيمين في الأربطة.
- (١٣١) الديلمي والخطيب من رواة الحديث الضعفاء، والضعيف والغريب من أنواع الحديث، يعني الشاعر أنهم تتبعوا المحدثين غير الثقات والأحاديث غير الصحيحة يستدلون على أقوالهم وأفعالهم.
- (١٣٢) يعني يجب الاستمسك بسنن الآباء حتى تعود الأمة سيرتها، كما ينتظر صاحب الشجر أيام الخريف إيراقة وإثماره في الربيع ولا يقطعه أو يهمله.
- (١٣٣) إن قل الماء في نهرك فاحتفظ بالنهر عسى أن تأتيه السيول بالماء فيزخر مرة أخرى.
- (١٣٤) كلمتا نباض ومقراض في الأصل.
- (١٣٥) مرقة اليقين ومقامات اليقين في الأصل بلفظهما العربي.
- (١٣٦) في الأصل جبل ألوند، واستبدلت به رضوى في الترجمة.
- (١٣٧) الشيخ أحمد الرفاعي.
- (١٣٨) وقعت هذه القصة في سيالكوت بلد إقبال وقصها على الناس كثيرا، ومبرم في آخر البيت بمعنى ممل.
- (١٣٩) قشب: جمع وكسب.
- (١٤٠) يعني دمعت عينه، علق الدمع بأهدابه ثم سقط.
- (١٤١) هذا قول النبي لوالد إقبال في المحشر.
- (١٤٢) جلال الدين الرومي، وما بين القوسين من ديوانه المثنوي.

- (١٤٣) أغرد: أطرب بالتغريد.
- (١٤٤) الصقر يعيش في الصحراء، والبلبل بين الأشجار؛ فليلزم كل بيئته.
- (١٤٥) مطر شهر نيسان الذي ينشأ منه اللؤلؤ في ظن القدماء.
- (١٤٦) متصل بالبيت الذي قبله، أي انشف الماء بشعاع الصبح.
- (١٤٧) الأوصاف في هذا البيت وما بعده أوصاف الحياة.
- (١٤٨) نار الحياة تخفي حرها، وتظهر أعراضها في مظاهرها، ومثل الشاعر بأزهار الشقيق التي جعلها الشعراء مثلاً لالتهاب.
- (١٤٩) الحياة حركة دائمة يتوهمها الإنسان ثابتة، يقول إقبال: الفكر العاجز عن إدراك الحياة يرى جسمًا يسميه وردًا، وليس هو في الحق إلا لوثًا في طيران مستمر.
- (١٥٠) الطير: الطيران، والحياة طيران ولون طائر، لا ثبات لها ولا تستقر في عش.
- (١٥١) الحياة مقيدة بأشكال وهي في الحقيقة لا تحويها هذه الأشكال، ونوحها وغناؤها متصلان.
- (١٥٢) تضع نفسها في الطين — تزرع وتغرس — لا لتسكن فيه بل تزيد إسرًا في سيرها.
- (١٥٣) الحياة تلبس الطين فتراها حيوانًا له عين إلخ.
- (١٥٤) العم: الجماعة الكثيرة.
- (١٥٥) تولد الأمة حين تجمع الحياة في مركز معين في شريعة أو قانون أو مقصد.
- (١٥٦) الخليل إبراهيم، نحن الدليل على صدق ما يدعي للحرم من أنه يجمع الناس، ويكون مركز الأمة، ونحن برهان على تحقيق ما أمله الخليل في الحرم.
- (١٥٧) في حساب الحرم كثرتنا وحدة، وبهذه الوحدة تستحكم قوتنا.
- (١٥٨) حذف هنا أبيات في وصف اليهود.
- (١٥٩) السجود الأولى جمع ساجد.
- (١٦٠) المطع هنا مطلع القصيدة.
- (١٦١) اعتقد المال: اقتناه، إذا عرف الإنسان مقصده نقد به الأشياء فرد بعضها وأخذ بعضها.
- (١٦٢) يذكر أمثلة من المقاصد: الساحل للسائر في البحر، والمنزل للسائر في البر، والاحترق للفراش، وليلى لقيس.
- (١٦٣) يتبين للعمل كيفه وكمه من مقصوده.

(١٦٤) الشقر: الشقائق؛ والضمير يعود إلى المقصود الحياة تستعريه، وتجمع في نفسها نارًا كما تجمع الشقائق النار، في خيال الشعراء.

(١٦٥) يجمع الأعين المختلفة على نظر واحد.

(١٦٦) القمي: ملك القمي الشاعر، والإشارة إلى بيت له معناه. «ذهبت لأنقش

الشوك من قدمي فاختنفى المحمل عن عيني، غفلت لحظة فبعدت طريقي مائة سنة».

(١٦٧) امتزاج الأمهات اختلاط العناصر، والتركيب بلفظه العربي في الأصل.

(١٦٨) هذا البيت والذي قبله بيت واحد في الأصل، والمعنى: أن التكمل في العالم

شاق أليم، ينبت غابات من أجل نغمة ناي، ويخرب روضات من أجل زهرة، وقد تقدم هذا أول الكتاب.

(١٦٩) تعالى: تتعالى.

(١٧٠) السنبل: نبت طيب الرائحة.

(١٧١) فيها: في الدنيا.

(١٧٢) إشارة إلى الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

(١٧٣) إشارة إلى الآيات: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ \* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ \* وَمَا

يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾.

(١٧٤) يعبد الناس في هذا العصر عصبية الأنساب والأوطان فيسفكون الدماء.

(١٧٥) إشارة إلى الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

(١٧٦) في الآيات المتقدمة دعوة إلى تسخير عالم الحس، وبيان أن هذا التسخير

يؤدي إلى معرفة عالم الغيب.

(١٧٧) يعني: أن الإنسان خليفة الله في الأرض بالحق، وحكمه فيها نافذ.

(١٧٨) استخراج الكهرباء من سيل الماء.

(١٧٩) إشارة إلى الآية: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

(١٨٠) إشارة إلى آلات البرق، والهاتف ونحوها.

(١٨١) إشارة إلى الآية: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾.

(١٨٢) كالصقر الصغير الذي يعلم الصيد، يتلطف صاحبه في إطلاقه وراء الصيد

ودعوته إلى الرجوع.

(١٨٣) ثم يعلق التفكير به فيرمي فكره بشرر، كما تدار جمرة النار في خذروف

فيتطاير منها الشرر، وفي الأصل «زرجك» وهي لعبة يديرها الصبيان، يتطاير منها

الشرر، والخذروف قرص يدار بخيط فيسمع له دويّ.

- (١٨٤) يدرك الطفل نفسه فيعنى بها، ويقول: ها أنا، وكان يرى غيره لا نفسه.
- (١٨٥) يرمي ويكري يزيد وينقص، يشعر الإنسان بأنه مع تغير جسمه لا تتغير ذاته.
- (١٨٦) هي في الكون كإنسان العين يرى كل شيء إلا نفسه، فهي تقلد وتتبع ولا تعتمد على نفسها.
- (١٨٧) تكون كالذي معه خيط معقد يحل عقده حتى يجد طرف الخيط فيمكنه الانتفاع به.
- (١٨٨) راز الإنسان الشيء حاول رفعه ليعرف ثقله.
- (١٨٩) الخِيَاط: الإبرة.
- (١٩٠) المهار: الزمام.
- (١٩١) إكبار الرجل المرأة وحبها يدعوانه إلى الإقدام والعمل، وكذلك تهديه المرأة وتلهمه.
- (١٩٢) إشارة إلى الأثر: حبيب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرّة عيني في الصلاة.
- (١٩٣) المقدار هنا القدر، أي مستقبل الناس مكتوب في سيماء الأم.
- (١٩٤) كهام المقول: عيبة اللسان، عينها خفرة ولسانها قليل الكلام.
- (١٩٥) تعاني الظلام في أيامها ليشرق صبحنا، أي: نسعد بشقائقها.
- (١٩٦) صدفت عن الحمل والوضع.
- (١٩٧) لم يضىء في ليلها نجم: لم يولد لها ولد.
- (١٩٨) أباع: عرض للبيع، أي عرضت درعها للبيع لتعطي سائلاً.
- (١٩٩) الأسير في أغلال هذا العصر يظن نفسه حرّاً، والميت يحسب رمسه قصرّاً، لا يدري هذا أو ذاك ما هو فيه من عبودية أو هلاك.
- (٢٠٠) إشارة إلى الحديث: «أمن الناس على صحبته وماله أبو بكر».
- (٢٠١) كان ثاني الرسول في الدخول في الإسلام وفي الغار، وفي القبر إذا كان أول من دفن بجانبه.
- (٢٠٢) إن أخلص الإنسان لله وتوكل عليه لا يقيد ما يقيد الناس من أسباب بل يخلق هو وسائله إلى غايته وليست الحياة دورات آلية بل فيها إرادة الإنسان وعزيمته.
- (٢٠٣) مرحب: أحد رؤساء اليهود في خيبر، قتله علي — رضي الله عنه — تقيل حيدرّاً: تشبه بعلي.

(٢٠٤) إشارة إلى ما يروى عن عمر — رضي الله عنه: «أقلل من الدنيا تعش حرًا».

(٢٠٥) الضمير يرجع إلى الدنيا.

(٢٠٦) أبو علي قلندر أحد كبار الصوفية في الهند وتقدم ذكره وما بين القوسين

شعره.

(٢٠٧) نففور أحد ملوك البيزنطيين حاربه الرشيد فهزمه.

(٢٠٨) اليمن من مواطن العقيق، يعني: لماذا يبقى مالك في الحجاز كما يبقى

العقيق في معدنه.

(٢٠٩) في الأصل: أنا حي بتقبيل تراب المدينة، وقد خفقت العبارة في الترجمة.

(٢١٠) هل أنت أيها المسلم كما عهدتك، أم أنت إنسان آخر.

(٢١١) السرو: شجر طويل شكله كالسنبله دائم الخضرة، جميل التمايل، يقول

الشاعر: إن طيرنا لا يستطيع الغناء كالطير، وسرونا ليس له رواء كالسرو.

(٢١٢) إشارة إلى الآية: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾.

(٢١٣) لو عاد الرسول ﷺ لميز الصادق والكاذب، وعرف شمعه الفراش الذي

يهفو إليه حبًا.

(٢١٤) هنا يقول الشاعر: لا تكن فراشًا يهفو على نار غيره، بل اصطل نارك إن

تكن في قلبك نار.

(٢١٥) مذهب إقبال أن يثبت الإنسان في نفسه، يبعد السير، ولكن لا يخرج من

منهاجه، فليكن كالبصر يتقلب في العالم وهو مكانه، وكالطائر يحلق في الجو ولا ينسى

عشه، يعني: أن يكون في فكره وعمله صادرًا عن عقيدته وإحساسه هو.

(٢١٦) حياة الفرد أن يعرف نفسه ويعتد بها، وحياة الجماعة أن تعتمد على

نفسها وتصدف عن غيرها.

(٢١٧) يروى أن سلمان الفارسي — رضي الله عنه — سئل عن نسبه؛ فقال: سلمان

ابن الإسلام.

(٢١٨) يقصد الشاعر من هذه القصة أن ابن مسعود بكى أخاه لما جمعهما من

صلة بالنبي لا من صلة النسب.

(٢١٩) البيت لجلال الدين الرومي.

(٢٢٠) القرآن: القرآن.

(٢٢١) الفقر عند إقبال — كما هو عند الصوفية: ألا يستغني الإنسان إلا بالله،

انظر مقدمة «ضرب الكليم».

(٢٢٢) يعني: أن الكائنات قبلك كانت في ظلام وفاقة وحاجة إلى من يبعث فيها الحياة والقوة.

(٢٢٣) المسلم صار بيت أوثان بما في نفسه من أهواء، وعبادة للكبراء.

(٢٢٤) سمنا: بيت أصنام معروف في الهند، أخربه السلطان محمود الغزنوي، ويعيد الهناك بناءه اليوم.

(٢٢٥) الأية: شعاع الشمس.

(٢٢٦) القانون: آلة موسيقية، وفي الكلام تورية بالقانون الذي معناه الشرع.

(٢٢٧) الأبوصيري: الشاعر ناظم البردة، وعود سليمي: يراد به قوة العرب في الأدب والغناء.

(٢٢٨) اهد من ادعى أن فلسفتي مأخوذة من الفرنج لأنه يجهل ما في دينه من قوانين.

(٢٢٩) صار إسكاره أشد كالخمر المعتقد.

(٢٣٠) الأزري: المنسوب إلى آزر ناحت الأصنام، وهذا العقل الوثني نقش في روحه نقشًا عجيبًا.

(٢٣١) الحكمة: الفلسفة.

(٢٣٢) هذا الأمل الذي كرر ذكره وأطال في وصفه تحول دمعاً سجم من عينيه، ونغما رن في قلبه.

(٢٣٣) كرر إقبال هذا الرجاء في شعره، قبل وفاته بثلاثين سنة إلى أن توفي، وروى

الأستاذ يوسف جشتي شارح دواوينه: أن أحد أصحاب إقبال دخل عليه في يناير سنة ١٩٣٨ — أي قبل وفاته بثلاثة أشهر — وأخبره أنه عزم على الحج، وسأله أن يدعو الله ليقبل حجته، فبكى إقبال بكاءً شديداً وقال: بل اسأل الله أن ييسر لي زيارة روضة الحبيب ﷺ.

(٢٣٤) يعني: أن بلاد الهند يسيطر عليها الإنكليز وليست بلاداً إسلامية خالصة، فهي ليست جديرة أن يعيش فيها المسلم أو يعبر فيها.

(٢٣٥) هذا البيت أحسبه مقتبساً من جلال الدين الرومي، والسكن هنا من يسكن إليه الإنسان ويطمئن.

